



The Marginalized Voice in the Poetry of al-Mutalammis al-Dhuby'i (A Critical Reading in Representation and Erasure)

Instr. Haitham Abdul Hussein Mariwish
Wasit Education Directorate/ Open Educational College
Department of Arabic Language
Alrbyhythm68@gmail.com

Received Apr.1, 2026

Revised May.27, 2026

Accepted May 31, 2026

Online October1, 2026

ABSTRACT

This study sheds light on the nature of marginalization experienced by al-Mutalammis al-Dhuby'i, as his poetic practice embodies a form of hidden protest discourse excluded from the canonical pre-Islamic poetic narrative. His poetry is not merely satirical; rather, it bears the marks of a suppressed voice of resistance against the cultural and political center of his society. Al-Mutalammis expresses the individual's struggle against injustice and tyranny, particularly those exercised by authority or tribe. The significance of this topic lies in its revelation of an early consciousness of dissent within pre-Islamic poetry one that manifests itself through the critique of despotism and the defense of personal dignity.

Thus, al-Mutalammis stands as a dissonant voice within the cultural context of his tribe and era. Through his verse, he articulates a rejection of social and political oppression, granting the marginalized a language through which their protest is inscribed and their struggle for survival and dignity immortalized. His poetic texts, therefore, represent a unique model in expressing the concerns of the marginalized and the suffering of ordinary people, endowing his work with an ethical and social dimension that transcends the traditional framework of pre-Islamic poetry, the research adopts an analytical approach that combines the semiotic approach with cultural criticism, with the aim of revealing the implicit patterns and semantic structures that produce the discourse and direct its interpretive paths.

Keywords: groping, voice, marginalization, representation, absence

الصوت المَهْمَش في شعر المُتَلَمِّس الضُّبَعِيّ
(قراءة نقدية في التَّمثِيل والتَّغْيِيب)
م. هيثم عبد الحسين مريوش
قسم اللغة العربية
المديرية العامة لتربية واسط/ الكلية التربوية المفتوحة

الملخص

تلقي هذه الدراسة الضوء على طبيعة التهميش الذي تعرض له المتلمس الضبعي؛ لكونه يشكل ممارسة شعرية في خطاب احتجاجي خفي أو مقصي من السردية الشعرية الجاهلية، فشعره ليس مجرد هجاء، بل يحمل طابعاً احتجاجياً مقصياً من المركز الثقافي والسياسي؛ إذ يعبر الشاعر عن معاناة الفرد في مواجهة الظلم والطغيان، لا سيما من السلطة أو القبيلة؛ فتكمن أهميته هذا الموضوع في كونه يكشف عن وعي احتجاجي مبكر في الشعر الجاهلي، يتجلى في نقد الاستبداد والدفاع عن الكرامة الشخصية؛ لذا يعد المتلمس صوتاً مغايراً ضمن السياق الثقافي لقبائله وزمنه، إذ يعبر شعره عن رفض الظلم الاجتماعي والسياسي، ويمنح المهتمشين لغة تدون احتجاجهم وتخلد صراخهم من أجل البقاء والكرامة؛ مما يجعله نموذجاً فريداً في التعبير عن قضايا الهامش ومعاناة الناس، وتمنح نصوصه بعداً أخلاقياً واجتماعياً يتجاوز الإطار التقليدي للشعر الجاهلي، ويعتمد البحث منهجاً تحليلياً يزاوج بين المقاربة السيميائية والنقد الثقافي، بهدف الكشف عن الأنساق المضمرّة والبنى الدلالية التي تنتج الخطاب



وَلَوْجَه مَسَارَاتِهِ التَّأْوِيلِيَّة.

الكلمات المفتاحية: المثلّس، الصّوت، التّهميش، التّمثيل، التّغيب.

المقدمة:

مدخل مفاهيمي:

نَقِصْدُ بِالتَّمْثِيلِ هُوَ حُضُورُ فَنَةٍ أَوْ صَوْتٍ أَوْ فِكْرَةٍ دَاخِلِ النُّصُوصِ الْأَدْبِيَّةِ أَوْ الْخُطَابِ الثَّقَافِيِّ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ بِشَكْلِ صَرِيحٍ أَمْ ضَمْنِيٍّ، مُشِيرًا إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُصَوِّرُ بِهَا هَذَا الصَّوْتُ، وَكَيْفَ يُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا إِذَا كَانَ يُعْرَضُ بِصُورَةٍ مُنْصَفَةٍ أَوْ مُنْحَازَةٍ، أَمَّا التَّغْيِيبُ فَهُوَ غِيَابٌ أَوْ إِسْكَاتٌ صَوْتٍ أَوْ فَنَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ مِنَ الْمَتْنِ الثَّقَافِيِّ أَوِ الْأَدْبِيِّ، قَدْ يَكُونُ تَغْيِيبًا كُلِّيًّا عَدَمَ الذِّكْرِ نِهَائِيًّا، أَوْ تَغْيِيبًا جُزْئِيًّا كَالْحُضُورِ الْمُشَوَّه، أَوِ التَّابِعِ، أَوِ الْهَامِشِيِّ، لَذَا "اتَّخَذُوا مِنَ السَّيْفِ وَاللِّسَانِ (الشَّعْر) وَسَبِيلًا لِكَسْرِ أَغْلَالِ التَّهْمِيشِ، وَتَعْرِيةِ الْأَنْسَاقِ الْقَبْلِيَّةِ، وَكَشْفِ زَيْفِهَا، وَعَدَمِ صُمُودِهَا أَمَامَ الْوَاقِعِ" (حمزة، 2013م: ص 14)؛ إِذَنْ هُمَا مُصْطَلَحَانِ تَقْدِيَانِ يُشِيرَانِ إِلَى كَيْفِيَّةِ حُضُورٍ أَوْ غِيَابٍ دَاخِلِ النُّصُوصِ الْأَدْبِيَّةِ، فِي سِيَاقِ الشَّعْرِ قَدْ يَتِمَّتْ الصَّوْتُ الْمُهِمَّشُ مِنْ خِلَالِ شَخْصِيَّةِ الشَّاعِرِ أَوْ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ، بَيْنَمَا يُغَيَّبُ حِينَ تُهْمَلُ مُعَانَاثُهُمْ أَوْ يُقَالُ مِنْ شَأْنِهَا أَوْ تُعْرَضُ مِنْ زَاوِيَةِ السُّلْطَةِ أَوِ الثَّقَافَةِ السَّائِدَةِ فَقَط.

وَيُمْكِنُنَا الْقَوْلُ: إِنَّ التَّمْثِيلَ وَالتَّغْيِيبَ لَا يَتَعَلَّقَانِ فَقَطَ بِالْحُضُورِ وَالْغِيَابِ الْمَادِّيِّ فِي النَّصِّ، بَلْ بِكَيْفِيَّةِ صِيَاعَةِ هَذَا الْحُضُورِ أَوْ الْغِيَابِ، وَبِالسُّلْطَةِ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مَنْ يُسَمَّحُ لَهُ بِالْكَلَامِ وَمَنْ يُجْبَرُ عَلَى الصَّمْتِ، سَوَاءً فِي الشَّكْلِ أَوْ الْمَضْمُونِ.

المهاد النظري:

أولاً- المَرَكُزُ وَالهَامِشُ (المَفْهُومُ وَالْآلِيَّاتُ):

شَهِدَتِ السَّاحَةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالتَّقْدِيَّةُ الْغَرِبِيَّةُ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ مِيلَادَ زَحْمٍ هَائِلٍ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْفَلَسُفِيَّةِ وَالتَّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، وَمِنْ تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ ثَنَائِيَّةُ الْمَرَكُزِ وَالهَامِشِ الَّتِي أَثَارَتْ جَدَلًا بَيْنَ النَّقَّادِ، هَذِهِ الثَّنَائِيَّةُ نَجْدُهَا فِي مَجَالَاتٍ عَدِيدَةٍ كَالسِّيَاسَةِ وَالْاجْتِمَاعِ وَالْاِقْتِصَادِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الثَّنَائِيَّةِ عِلَاقَةً تَنَافُرٍ وَصِرَاحٍ؛ لِأَنَّ صَوْتَ الْمَرَكُزِ هُوَ سُلْطَةُ الْعَقْلِ الَّتِي تُسْتَطِيعُ أَنْ تَكْبَحَ رَغَبَاتِ الْإِنْسَانِ الْوَاعِيَةِ وَاللَّوَاعِيَةِ، وَقُدْرَتُهُ عَلَى وَضْعِ نُقْطَةِ الْإِنْطِلَاقِ فِي النَّصِّ لِمُخْتَلَفِ الْمَوَاجِهَاتِ، إِذْ إِنَّ الْحَقَّ: "لَيْسَ ثَمَّةَ سُلْطَةٍ تَعْلُو عَلَى الْعَقْلِ، وَلَا حُجَّةَ تُسَمُّو عَلَى حُجَّتِهِ" (فَيْصَل، 1991م: ص 173)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ ثِقَةَ الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ وَبِقُوَّةِ عَقْلِهِ تُجْعَلُهُ يُرَكِّزُ عَلَى كُلِّ طَاقَةٍ قَابِلَةٍ لِلْإِحْتِمَالِ مِنْ قِبَلِ الْجَمِيعِ.

يُعَدُّ الْإِنْشِغَالُ بِالْمُهْمَّشِ وَالهَامِشِيِّ وَقَضَايَا التَّهْمِيشِ مِنَ الْمُرْتَكَزَاتِ الْمَرَكُزِيَّةِ فِي خُطَابَاتِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ، إِذْ اتَّجَهَتْ هَذِهِ الْخُطَابَاتُ إِلَى تَفْكِيكِ الْبُنَى الْمُهِيمَةِ وَالكَشْفِ عَنِ الْآلِيَّاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي إِقْصَاءِ الدَّوَاتِ الْهَامِشِيَّةِ وَإِبْعَادِهَا عَنِ مَرَكُزِ الْفِعْلِ وَالتَّمْثِيلِ. وَمِنْ ثَمَّ عَدَا الْإِنْشِغَالِ عَلَى الْمُهْمَّشِ نُزُوعًا تَقْدِيًّا أَصِيلًا فِي حَفَرِيَّاتِ الْمَشْرُوعِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ، بِوَصْفِهِ مَشْرُوعًا يَسْعَى إِلَى مُسَاوَلَةِ السَّرْدِيَّاتِ الْكُبْرَى، وَإِعَادَةِ الْإِعْتِبَارِ لِلْأَصْوَاتِ الْمُقْصَاةِ وَالْهُوَيَّاتِ الْمُغَيَّبَةِ دَاخِلَ أَنْسَاقِ السُّلْطَةِ وَالْمَعْرِفَةِ (آل وَادِي، 2011م: ص 13)، وَبِمَا أَنَّ الْمُهْمَّشَ لَا يَتَشَكَّلُ بِوَصْفِهِ كِيَانًا مَعْرُوْلًا، بَلْ بِوَصْفِهِ أَثَرًا لِفِعْلِ الْإِقْصَاءِ الَّذِي تُمَارِسُهُ ذَاتٌ مُهِيمَةٌ، فَإِنَّ وَجُودَهُ يَظَلُّ مَرْهُونًا بِحُضُورِ الْمُهْمَّشِ الَّذِي أَنْتَجَ شُرُوطَ التَّهْمِيشِ وَالْيَتَامَةِ، وَمِنْ ثَمَّ، لَا يُمَكِّنُ تَصَوُّرُ

الهامش خارج المركز؛ لأنَّ العلاقة بينهما علاقةً جدليَّةً يقوم فيها حضور أحد الطرفين على استدعاء الآخر وإعادة إنتاجه بصورةً مُستمرَّة.

وبهذا المعيار يُمثِّل المركز القوى الكُبرى المُهيمنة على المُجتمع، ويُمكن أن يُطلق عليها الفئة النُخبويَّة، وهي مجموعة أو "فئة قليلة من النَّاس يحتلُّون مركزاً أساسياً أو اجتماعياً مرموقاً، فالمُصطلح تعبيريٌّ عن الامتياز والتفوق" (الكَيالي، 1985م: ص 561)، ويبيد أنَّه بمقدار هذه النُخبَة أو الفئة يُمكن التَّحكُّم وإخضاع الجماهير؛ بوصفها تمتلك وتنفرد بالسلطة بما يضمن سيادتها، كما تسعى من خلال أدواتها ونفوذها إلى السيطرة لفرض ما تُريد على الآخر؛ كونها في موقع السيادة المطلقة التي يفقد الآخر من خلالها الإحساس بعدم الجدوى من المقاومة النَّقائِيَّة، بعدها يخضع للمعايير التي وضعتها هذه الفئة، لِيشكِّل الهامش المغلوب على أمره (جون هيلر، 2007م: ص 70)، وفي ذلك المدار من الفهم يُمثِّل الهامش كلَّ ما لا يكون التَّركيز عليه، ولا يُعدُّ مهمًّا أو يُعتدُّ به، وهو أقلُّ مكانةً وأهميَّة من المركز الذي تتسلط الأضواء عليه، وتتمحور حوله الاهتمامات، ويظلُّ الصِّراع مُتأججاً بين هامشٍ مُستبعدٍ عن فعل التَّمرُّز، وهامشٍ يثوق إلى اعتلاء سلم المركزيَّة، ومركزٍ تنكَّر للهامش، وهامشٍ لم يُعدَّ يؤمن بسلطة المركز (شكري، 2008م: ص 204)؛ وعلى أساس ذلك يُشير الصَّوت المُهمَّش في الشَّعر إلى التَّعبير عن فئات أو تجارب تمَّ تجاؤها أو إقصاؤها من الخطابات الأدبيَّة والاجتماعيَّة السائدة، مثل الفقراء، والنساء، والأقليات، أو المُهمَّشين سياسيًّا ونقائِيًّا، فيسعى الشَّاعر من خلال هذا الصَّوت إلى تسليط الضَّوء على المُعاناة الإنسانيَّة الخفيَّة، وإعطاء من لا صوت لهم مساحةً للتَّعبير، ممَّا يجعل الشَّعر أداةً مقاومةً وكشف الظلم والنَّهميش، ويمنحه بُعداً إنسانياً واجتماعياً يتجاوز الجماليَّات الشكليَّة.

ثانيًا. المُتملَّس الضُّبعي:

إنَّ شكل الحُكم والتَّعاطي السِّيَاسيِّ في العصر الجاهليِّ لم يقتصر على الحُكم القبليِّ وشيخ القبيلة وطبقاتها، فقد كان هناك إمارات ثلاث في وسط وأطراف الجزيرة العربيَّة، وهي: إمارة المُناذرة في العراق، والغساسنة في الشام، وكندة في دومة الجندل، وقد اختصت إمارة المُناذرة بأكثر الشَّعر الغاضب والرافض والتَّأثير في الجاهليَّة، أمَّا الغساسنة فلم يثر ملوكهم من التَّمرُّد والثَّورة بظلمهم، بل كان بلاطهم أشبه ما يكون بموضع اللُّجوء السِّيَاسيِّ للشَّعراء الذين فرط منهم ذنب لدى المُناذرة، فهربوا بحياتهم إلى بلاد الغساسنة المُعادين لهم، ومن هؤلاء صاحب الصَّحيفة المشهورة في التَّاريخ الأدبيِّ المُتملَّس الضُّبعيِّ، الذي هرب من الموت مع ابن أخته طرفة بن العبد، عندما أرسل عمرو بن هند، ملك الحيرة، رسالةً مخنومةً إلى مُمثِّله في البحرين يأمُرُه فيها بقتلها، فضضها المُتملَّس وعرف ما فيها، فمرَّقها وألقى بالصَّحيفة في نهر الحيرة (البغدادي، 1986م: ص 345/6).

ويبيد أنَّ القصيدة الجاهليَّة تقليديًّا تُعبر عن صوت القبيلة، فتجسِّد قيم المركز مثل الفُروسيَّة، والشَّرَف، والكرَم، والنَّار، ويُقال غالباً من موقع الرُّجل المُحارب، سيِّد القبيلة، أو المُتحدِّث باسمها، لكن عند تفكيك هذه القصيدة من منظور الهامش، نكتشف أنَّ هناك أصواتاً وشخصيَّات وتجاوَّهات تُغييبها أو تهميشها، ولعلَّ الشَّاعر المُتملَّس الضُّبعيِّ، الذي يعيش مُعطيات تجربته التي أخرجته من طبيعته المعهودة إلى الطَّبيعة المُتمرِّدة، فكان شاعراً ناقداً للسلطة، هجاءً، طرد من الحيرة بعد أن كاد يُقتل بسبب هجائه للملك عمرو بن هند، (الصيرفي، 1970م: ص 27-28) ومن خلال هذا المنظور، لا تبقى قصيدته الجاهليَّة مجرد وثيقة تُمجِّد للمروءة، بل تتحوَّل إلى ساحة صِراع نقائِيٍّ بين المركز والهامش، وبين ما يُقال وما يُخشى قولُه، وبين من يملك سلطة التَّعبير ومن يُقصى عنها، وعلى وفق ذلك، استلزمَت الدِّراسة الوقوف عند أبرز المحاور التي حملتها قصائده، وهي:

1- الغضب والرَّفص:

2- التَّمرُّد على السُّلطة: (الملوك، الأعزاف).

3- الموقف من القبيلة والهوية:

إذ إنَّ الأوَّل يُعنى بالبنية الذاتية وانفعالاتها الداخلية: القلق، والغربة، والإحساس بالإقصاء والألم، والشعور باللاجدوى، والثاني يُعنى بالحمولة التعبيرية لمعاناته، التي رَسَم من خلالها موقف علاقته بالسلطة وقضية النفي والصحيفة، والثالث يُعنى بموقعه داخل القبيلة؛ بوصفه رؤية انطلقت من المجتمع وإشكالياته، فشكَّل نسقاً ثقافياً وهاجساً مؤرقاً لشعوره بالغربة والإقصاء، على وفق قراءة نسقية تكشف عن طابعه الاحتجاجي المعارض، وتسلط الضوء على البعد المقصى في تجربته الشعرية.

أولاً- الغضب والرفض:

نعني به التركيز على ما تمَّ تهميشه أو إقصاؤه من السردية المركزية؛ لئفسح المجال في اختيار التجارب التي يُعبر عنها الشاعرُ تعبيراً صادقاً نابضاً بعمق الرؤية؛ كي يصل في نهاية الأمر إلى تحدٍّ فرضته قسوة نفسية بما تحمله من خصوصية مغلقة، فلم يعد هناك مفرُّ من تحمل هذه القسوة، وهي تُعبر عن تجربة تفتتح على الحضور الواعي والمنسجم مع تنامي المؤثرات الحسية والثقافية والاجتماعية والحضارية، التي يحسُّ بإزائها الشاعرُ بأنه يقف في مواجهة إلى حدِّ الخوف من المجتمع والزمن والحياة (مروة، 1972م: ص 350)، فالغضب والرفض صوَّتان قويَّان يلحَّان من الداخل، وهما مزيج من المقاومة والتحدي والقوة، ويعكسان في الشعر الجاهليَّ موقف الشاعر من واقع لا يرضى به، ويُعبران عن انفعاليته تجاه الظلم أو الإهانة، ورفضه للذلِّ أو الانكسار، سواءً على المستوى الشخصي أو القبليَّ يظهر الغضب في الهجاء والفخر والرثاء؛ "لئن امني حركية النص على النحو الذي يُديم التواصل ونقل أحاديث وجارات" (فرحان، 2023م: ص 200)، بينما يتجلى الرفض في رفض القيم المجتمعية الظالمة والتقاليد القاسية، ليعبر الشاعرُ الجاهليُّ من خلالهما عن اعتزازه بالحرية والكرامة؛ ممَّا يجعل من هذين العنصرين مظهرًا بارزًا لقوة الشخصية الجاهلية ورفضها للخضوع، كما في قوله: (الكامل) (الصيرفي، 1970م: ص 177-187).

مَنْ مَبْلُغَ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَهْوِيهِمْ	خَبْرًا فَتَصْدَقُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِي عَلَى الصَّحِيفَةِ مِنْهُمَا	وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ الْمَتَلَمِّسُ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورُهُ	عَسُ مُدَاخِلَةَ الْفَقَارَةِ عَرِمِسُ
عَسُ إِذَا ضَمَرَتْ تَعَزَّزَ لَحْمُهَا	وَإِذَا تَشَدَّدَ بِنَسِيعِهَا لَا تَبْدِسُ
وَجَنَّا قَدْ طَبَخَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا	وَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَيْمُ أَمْلَسُ
وَتَكَادُ مِنْ جَزَعٍ يَطِيرُ فَوَادِهَا	إِنْ صَاحَ مُكَأ الضُّحَى مُتَنَكِّسُ
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ	يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّفَرِسُ
وَعَلِمْتُ أَتَى قَدْ مُنِيتُ بِنَيْطِلٍ	إِذْ قِيلَ كَانَ مِنْ آلِ دَوْفَن قَوْمَسُ

ارتكز الضُّبعيُّ في تصوير خطابه على افتتاحية تراجيدية؛ ليستنجد بمن ينقل خبر الفجيرة إلى جميع الشعراء، وكأنَّهم مجتمع خاصُّ بهم، مضطهد في هذا السياق، ليسوا مكرَّمين ولا ذوي سلطة، بل أدوات تُستخدَم، ثمَّ يتخلَّى عنها كضحايا لسلطة لا تعبأ بمصيرهم (فتصدِّقهم بذلك الأنفس) تأكيد على أنَّ ما سيُقال ليس مجرد جكاية، بل الحقيقة التي دفَعوا أرواحهم ثمنًا لها، فالصوت هنا صوت مكتوم، يتجلَّى في النحس، ويبحث عن الاعتراف، ويواجه النسيان أو الكذب بسلاح الموت، إذ إنَّ "الشخصية التي صهرتها الآلام لا تعود تجزع لأتفه المخاوف، وتلقُّ لأصغر الأحداث، بل تقف في وجه مصيرها بقلب ملؤه الشجاعة والإقدام"

(إبراهيم، 1969م: ص 256)، ثُمَّ يُعْبَرُ عَنْ مُفَارَقَةٍ بَيْنَ مَنْ مَضَى بِثِقَةٍ طَرَفَةً، وَمَنْ تَوَجَّسَ وَشَكَّ وَرَفَضَ، الْمُتَلَمَّسُ لِجَسَدِ لَفْظُهُ (أودى) معنى الاغتيال أو الإهلاك المتعمد، كما تحمِلُ نَبْرَةً خَفِيَّةً مِنْ مَرَارَةِ الْوَعْيِ الطَّبَقِيَّ وَالنُّفُورِ مِنَ الْإِسْتِعْلَالِ.

إِذْ يَتَّضِحُ لَدَى الْمُتَلَقِّي مَيُولُ الشَّاعِرِ إِلَى اسْتِعْمَالِ (عَنِسِ) النَّاقَةِ الْقَوِيَّةِ كَرَمَزٍ لِلطَّبَقَةِ الْمُهْمَشَةِ الَّتِي تَتَحَمَّلُ أَثْقَالَهَا وَتَصُمُدُ، فَنُمَثِّلُ صَوْتًا بَدِيلًا صُلْبًا لَا يَخْضَعُ، وَكُلُّ تَفْصِيلَةٍ فِي وَصْفِهَا تُحْمِلُ تَحْدِيًا لِلطَّبِيعَةِ وَالْقَدَرِ وَالظُّرُوفِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَنَا الْمُهْمَشُ، لَدَيَّ وَسِيلَتِي لِلخِلاصِ، لَا أَحْتَاجُ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَيَرْتَفِعُ صَوْتُهُ؛ بِوَصْفِهِ الْمُهْمَشَ الْوَاعِي، رَافِضًا الْخُضُوعَ لِلسُّلْطَةِ الْغَاشِمَةِ الَّتِي تَعْتَالُ الْيَقَنَةَ، وَتُسَخِّرُ الْأَدَبَ وَالشُّعْرَاءَ أَدَوَانًا لِلْقَتْلِ الرَّمَزِيِّ وَالْجَسَدِيِّ، كَمَا حَدَثَ مَعَ طَرَفَةٍ، فَيَجْسِدُ غَضَبَهُ وَوَعْيَهُ فِي فِعْلِ الرَّفْضِ الصَّرِيحِ بِالْقَاءِ الصَّحِيفَةِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ "التَّجَارِبَ الْأَلِيْمَةَ الَّتِي يُعَانِيهَا الْمَرْءُ لَا بُدَّ أَنْ تَنْدَمِجَ فِي صَمِيمِ وَجُودِهِ، فَتُصْبِحَ بِذَلِكَ ثَرْوَةً بَاطِنَةً تَذْخُرُهَا الدَّائِلَةُ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَتَتَسَلَّحُ بِهَا ضِدَّ مَا يَسْتَجِدُّ مِنَ الْهَجَمَاتِ" (إبراهيم، د.ت: ص 36)؛ لِيَصُوغَ عَبْرَ النَّاقَةِ رَمَزًا لِلذَّاتِ الصُّلْبَةِ الْمُقَاوِمَةِ الَّتِي تَتَحَمَّلُ قَسْوَةَ الطَّرِيقِ وَلَا تُذَلُّ، وَتَتَكَلَّفُ طَاقَةَ الْغَضَبِ هُنَا فِي مُفَارَقَةِ الْمَصِيرِ بَيْنَ الْوَاعِي وَالضَّجِيَّةِ؛ لِنَتَّحَوَّلَ الْقَصِيدَةُ إِلَى خُطَابٍ احْتِجَاجِيٍّ يُدِينُ تَوَاطُؤَ الصَّمْتِ، وَيُعْلِنُ نَجَاةَ الْمُهْمَشِ عَبْرَ الْوَعْيِ وَالنَّمْرُدِ، وَرَفْضِ السَّرْدِيَّاتِ السُّلْطَوِيَّةِ الْمُغْلَقَةِ بِالْحَبَاءِ وَالْخِذَاعِ.

وَتَأْتِي مَرَارَةُ الْأَلَمِ الطَّاعِيَةِ فِي قَوْلِهِ: (أَلِ دَوْفَن قَوْمَسْ)، لِيَنْبَثِقَ النَّصُّ مِنْ ذَاتٍ مَقْهُورَةٍ تَسْتَبِطُنُ وَعْيًا مَأْرُومًا بِهَامِشِيَّيْهَا، لِكَيْهَا تُمَارَسَ تَمَرُّدًا لُغَوِيًّا حَادًّا يُفَكِّكُ سَرْدِيَّاتِ السُّلْطَةِ عَبْرَ السُّخْرِيَّةِ الْمُرَّةِ وَالنَّقُوصِ الرَّمَزِيِّ، فَالصَّوْتُ الْمُتَنَكِّسُ يُرْعِبُ الْمَرْكَزَ الْمُسْتَكِينِ، وَالصَّحِيفَةُ بِوَصْفِهَا وَثِيقَةً امْتِنَازٍ تُلْقَى بِازْدِرَاءٍ، كَاشِفَةً عَنْ فَسَادِ الْهَبَةِ وَعَيْبِ النَّسَبِ، فَتُمَثِّلُ سَاحِرًا لِهَوِيَّةٍ دَخِيلَةٍ يَسْتَحْضِرُهَا الضُّبْعِيُّ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ الْمَمْرُوقِ؛ لِيَهْدِمَ بِهَا شَرِيعَةَ الْإِنْتِمَاءِ الْمُصْطَنَعِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَلَمَ "هُوَ الْمُعْلَمُ الْخَاصُّ الَّذِي يُلْقَنُ الْإِنْسَانَ دَرَسًا فِي الْوَعْيِ بِالْقِيمِ، وَلَا غَرَوْ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الْخُلُقِيَّةَ لَا نَقُومُ إِلَّا عَلَى الْخِبَرَاتِ الْمَعِيشَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْحَيَّةِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ هِيَهَاتَ لِلْقِيمِ أَنْ تَتَكْشِفَ لَنَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الصَّرَاحَاتِ الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي نُعَانِيهَا بِأَنْفُسِنَا فِي صَمِيمِ تَجَارِبِنَا الْوُجُودِيَّةِ" (إبراهيم، 1969م: ص 254)، وَمِنْ خِلَالِ ذَلِكَ، يَتَّحَوَّلُ النَّصُّ إِلَى صَوْتٍ وَصَرَخَةٍ مُهْمَشٍ لَا يَطْلُبُ الْاعْتِرَافَ، بَلْ يَحْتَقِرُهُ، رَافِضًا الْمُشَارَكَةَ فِي نِظَامِ رَمَزِيٍّ يُكْرِسُ الْإِسْتِلَابَ وَالنَّوَاطُؤَ مَعَ الْقِيمِ الرَّائِفَةِ.

وَبِنَاءً عَلَى مَا تَمَّ عَرْضُهُ؛ جَسَدَ هَذَا النَّصُّ صَوْتًا مُهْمَشًا غَاضِبًا يَرْفُضُ رُمُوزَ السُّلْطَةِ وَالْإِمْتِنَازِ الزَّائِفِ، إِذْ يَنْهَكُمُ عَلَى الْخَوْفِ الْاجْتِمَاعِيِّ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَأْلُوفِ، وَيُعَرِّي وَهْمَ الْإِنْتِمَاءِ النَّبِيلِ الْمُسْتَوْدِ؛ لِيَكْشِفَ عَبْرَ لُغَةٍ مُكْتَفَةٍ وَمُفَارَقَةٍ عَنِ وَعْيٍ دَاخِلِيٍّ مَأْرُومٍ يَرْفُضُ الْخُضُوعَ لِسُلْطَةِ الْمَرْكَزِ، وَيَنْطِقُ مِنَ الْهَامِشِ بِصَوْتٍ سَاحِرٍ نَاقِمٍ؛ لِيَتَشَكَّلَ صَوْتُ الْمُتَلَمَّسِ الضُّبْعِيِّ كَوَعْيٍ مُتَمَرِّدٍ يَنْبَثِقُ مِنْ مَوْقِعِ التَّهْمِيشِ، لَا بِوَصْفِهِ خَالَةً سَلْبِيَّةً بَلْ كَقُوَّةٍ مُقَاوِمَةٍ تَفْضَحُ أَلْيَاتِ الْقَمْعِ الرَّمَزِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ الَّتِي تُمَارَسُهَا السُّلْطَةُ عَبْرَ الْخَدِيعَةِ الْمُفْتَعَةِ بِالْعَطَاءِ؛ لِيَتَقَاطَعَ الْغَضَبُ هُنَا مَعَ الْبَصِيرَةِ، إِذْ لَا يُعْبَرُ عَنْ انْفِعَالٍ غَائِبٍ، بَلْ عَنْ مَوْقِفٍ وَجُودِيٍّ يُعِيدُ تَعْرِيفَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالسُّلْطَةِ: أَيَّ مِنَ التَّابِعِ إِلَى الرَّافِضِ، وَمِنَ الضَّحِيَّةِ إِلَى الْكَاشِفِ، وَمِنَ الْأَدَاةِ إِلَى الْفَاعِلِ؛ لِيَتَجَاوَزَ فِعْلُ الْإِقَاءِ الصَّحِيفَةِ النَّجَاةَ الْجَسَدِيَّةِ إِلَى تُمَثِيلِ قَطْعِيَّةٍ مَعْرِفِيَّةٍ مَعَ مَنْطِقِ الطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ، وَالنَّاقَةِ الَّتِي حَمَلَتْهُ لَا تُقَدَّمُ كَوَسِيلَةٍ هُرُوبٍ، بَلْ كَتُمَثِيلٍ رَمَزِيٍّ لِلْقُوَّةِ الصَّامِتَةِ الَّتِي تَتَحَمَّلُ قَسْوَةَ الطَّرِيقِ، وَتَتَّحَوَّلُ إِلَى خَاضِنَةٍ لِلصَّوْتِ الْمُعْزُولِ الْخَارِجِ عَنْ هَيْمَنَةِ الْمَرْكَزِ، هَكَذَا يَصْبِحُ النَّصُّ فِي عُمُقِهِ وَثِيقَةً غَضَبٍ أَنْطُولُوجِيٍّ ضِدَّ مَوْتِ الْهَوِيَّةِ تَحْتَ عِبَاءَةِ الْحَظْوَةِ، وَصِبْغَةً رَفْضٍ وَجُودِيٍّ تُعِيدُ لِلْمُهْمَشِ وَكَأَنَّهُ الرَّمْزِيَّةَ وَحَقَّهُ فِي النَّجَاةِ بِالنَّمْرُدِ.

وَنَجِدُ الْمُتَلَمَّسَ الضُّبْعِيَّ فِي نَصِّ آخَرَ يُظْهِرُ عُنْصُرَ الْقُوَّةِ مُتَمَكِّنًا فِي نَفْسِهِ وَمُتَأَصِّلًا فِيهَا؛ لِيَجْسِدَ شَخْصِيَّةَ خَصْمِهِ رَمَزًا لِلشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالطَّغْيَانِ، مُضْفِيًا لَنَا عَلَى الْمَشْهَدِ بُعْدًا دِرَامِيًّا مُخِيفًا يَصْقَعُ الْأَسْمَاعَ وَتَرْهَبُهُ الْقُلُوبُ؛ لِيُعْطِيَ لِنَاقَتِهِ الْمَوَارَةَ شَحَنَاتٍ

وصفيّة في ميدان تصويريّ يُجسّم، ويَهولُ فيه مشهديّة شجاعته بصورٍ حسيّةٍ مُخيفة، ومناظرٍ رؤيويّةٍ مكانيّة، ومقابلاتٍ تشبيهيّة تُقربُ الموصوف إلى الدّهن، وتُبعثُ في نفس المتلقّي الخوف والرّهبة؛ ليكوّنَ على علمٍ ودرايةٍ بقوة الخَصم الذي يُواجهه، وهذا ما يؤكّده قوله: (الكامل) (الصّيرفي، 1970م: ص 236-245).

ألك السدير وبارق	ومبايض ولك	الخورنق
والقصر ذو الشرفات من	سنداد والنخل	المبسق
والغمر ذو الأحساء والـ	لذات من صاع	وديسق
والثعلبية ثلها	والبدو من مان	ومطلق
وتظل في دوامة الـ	مولود يظلمها	تحرّق؟!
فلئن تعيش فليبلغن	أرمأخا منك	المخفق

تقوم تداعيات المتلمس في نصّه هذا على تجاوز خطاب الشكوى الآني لتفكيك بنيّة الامتياز الثقافيّ والرّمزيّ التي رسّخت مركزاً مُنضجاً على حساب الأطراف المهمّشة، فالتعدادُ المُكثفُ لأسماء الأماكن والمعالم (السدير، بارق، الخورنق، الأحساء) ليس استدعاءً جغرافياً بريئاً، بل يكشف عن خريطة رأس مالٍ رمزيّ يملكه الآخر المهيمن، فالمكان هنا "صورةٌ تتجسّد فيها حركة الفعل المُمتدّة إلى الماضي الذي يتفاعل معه الشاعِر، كمنظورٍ يربطه بهذا الماضي، وكأنّ المكان هنا تقيّد وارتباط؛ لأنّه لم يعد يُحرّره من حُدود الدّمار المترسّبة في شعوره، في صلتها بالرّمان الذي يفقيه؛ لذلك كان خلاص الشاعِر في ارتباطه بإثبات الحضور بأيّ شكلٍ من الأشكال" (فيدوح، 1992م: ص 255)؛ لتتحول القصيدة إلى نصٍّ مقاومَةٍ ثقافيّةٍ يُعيدُ تعريف العلاقة بين المركز والهامش، ويدينُ النّظام الرّمزيّ الذي جعل من ترفِ القصور وغلو الشّرفات معياراً للجذارة، فيما صورَ المهمّش ككائنٍ فائضٍ، حتّى المولود منه يُظلم ويُحرّق، فالغضبُ هنا ليس انفعالاً عابراً، بل تفكيكاً عنيفاً لخطاب الهيمنة، وتحريضاً على قلب الهرم القيميّ الذي يربط الغنى بالشرعيّة والفقير بالشرعيّة، هكذا تتجلى القصيدة كفعلٍ ثقافيّ مضادٍّ، يُعيدُ امتلاك السردية من يد السلطة، معلّناً أنّ الصّمت لم يعد أداة النّجاة، بل صارَ نفسه امتداداً للفر، وأنّ اللّغة ذاتها يجب أن يُعاد توظيفها كأداةٍ للاشتباك لا للتزيين.

إذ إنّ النصّ يُعبّر عن وعيٍ جمعيّ مُختنقٍ، يتكلّم فيه المهمّش لا بوصفه فرداً ناقماً، بل كصوتٍ تأريخيّ يُحمِل الطبقات المُستسلّطة وزرَ ترفّها القائم على الإقصاء المنهجيّ، فالسردُ الكثيف للأماكن والرّموز الثّريّة لا يُقصدُ به الوصف بقدر ما هو إدانةٌ رمزيّة لخرايط الامتياز التي استبعدَ منها أصحاب الحقّ، والتي فرضت عليه عزلةً نفسيّةً حادّة، وهذه تُحقّق "حالةً مقبولةً من حالات الجرمَان الحسيّ التي تهبط بوسائل التّواصل إلى درجة التّديّي والانكماش، بما يجعلُ الحالم والشاعِر غنصراً مرثداً إلى ذاته، مُستفيداً من رُؤاه، مُستبدلاً خوارج وعيه بداخل تجرّيته" (إبراهيم، 1989م: ص 58)، وكأنّ الذاكرة الجغرافيّة ذاتها أداة قمعٍ في قلب النصّ، الذي يبنّيّ منه غضبٌ لا يعودُ وجودياً فقط، بل أخلاقياً ومُسلّحاً برغبةٍ في إعادة التّوازن ولو بالمواجهة الدّمويّة، حيثُ تتحول اللّغة من جردٍ للأُملاك إلى بيانٍ تأريّ، يُنذرُ بانفجارٍ طبقيّ تتكلّم فيه الأطراف التي طال صمّتها، معلّنة أنّ الظلم حين يُصيرُ عرفاً فإنّ العنف يُصبحُ لغةً استعادةٍ المعنى والعدالة.

وصفه القول: بُرُورُ هَاجِسِ الصَّوْتِ الْمُهَمَّشِ فِي النَّصِّ، بِوصفه صَرَخَةً احتجاجٍ مُرِيرَةٍ ضِدَّ احتكارِ الامتيازاتِ والثَّرواتِ من قِبَلِ نُخْبَةٍ مُتَنَعِمَةٍ، مُسْتَعْرِضًا بِمُزَارَةٍ قَائِمَةٍ مِنَ الرُّمُوزِ الجُغرافيَّةِ والمَادِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ جُكْرًا عَلَى الْآخِرِ الْمُهِمِّينَ، فِيمَا يَبْقَى الْعَامَّةُ مُحْرُومِينَ حَتَّى مِنَ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنَ الْعَدَالَةِ، فَالشَّاعِرُ يُعَبِّرُ بِلُغَةٍ غَاضِبَةٍ مُتَّصَاعِدَةٍ، لَا تَكْتَفِي بِالشَّكْوَى بَلْ تَنْقَلِبُ إِلَى خُطَابٍ ثَوْرِيٍّ يَهْدِدُ بِالانْتِفَاضِ وَالنَّارِ، حَيْثُ يَتَحَوَّلُ الْغَضَبُ مِنْ رَصْدِ الْوَاقِعِ إِلَى الْمُطَالَبَةِ بِتَغْيِيرِهِ وَلَوْ بِالْعُنْفِ، فِي ثُرْوَةٍ تَنْفَجِرُ فِيهَا مُفْرَدَاتُ كَدِّ (الْحَرْقِ، الرُّمَحِ، وَالْمَخْيَقِ) كَأَدَوَاتٍ لِاسْتِعَادَةِ الْكَرَامَةِ الْمَسْلُوبَةِ، مُجَسِّدَةً رَفْضًا جَذْرِيًّا لَوْضْعِ لَمْ يَعُدِ السُّكُوتُ عَنْهُ مُمَكِّنًا.

إِنَّ طَبِيعَةَ شِعْرِ الضُّبُعِيِّ هِيَ تَعْبِيرٌ عَنْ تَجَرُّبَةٍ أَلَمَ تَعَانِيهَا النَّفْسُ الْأَسِيرَةُ الْمُعَذَّبَةُ، حَيْثُ يَنْفُثُ الْأَنْفَاسَ الْحُرَّى، وَالزَّفَرَاتِ الَّتِي تَقْضُ الْمَضَاجِعَ، تَنْبَعُ مِنْ أَتُونٍ يَصْتَلِي بِهِ حَرُّ جَحِيمِهِ الْأَسِيرِ فَنَتَلَاشَى عِنْدَهُ الْأَمَالَ، وَتَضِيقُ فِي عَيْنَيْهِ الْأَرْحَابُ بِمَا وَسَّعَتْ، فَيَنْقَلِبُ مَاضِيهِ السَّعِيدُ وَأَيَّامُهُ الْجَمِيلَةُ إِلَى أَشْوَائِ تَدْمِيهِ، وَتُحِيلُ أَلْوَانَ الْحَيَاةِ إِلَى سَوَادٍ قَاتِمٍ، فَتَدُورُ بِهِ الْأَرْضُ وَتَقْتَحِمُ رُؤُوسَهُ، يَضْحَى مُكَبَّلًا ذَلِيلًا بَعْدَ مَا كَانَ مِثَارَ التَّقَعُّفِ فَوْقَ الرُّؤُوسِ مِنْ صَوْلَاتِهِ وَجَوْلَاتِهِ، وَمَا كَانَ لَسِيفِهِ مِنْ أَثَرٍ فِي أَعْدَائِهِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَسُوحِ الْقِتَالِ؛ لِيُحَرِّضَ قَوْمَهُ عَلَى الْخُرُوجِ وَالْقِتَالِ بِلَهْجَةٍ حَادَّةٍ وَنَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ، رَافِضًا الصَّمْتَ وَالْخُوعَ أَمَامَ الظُّلْمِ، وَمُؤْمِنًا بِأَنَّ الْكَرَامَةَ لَا تُصَانُ إِلَّا بِالسَّيْفِ وَالْمَوْقِفِ الْحَاسِمِ، إِذْ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَرْكِ التَّرَدُّدِ وَالْخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ الْخَوْفِ، مُؤَكِّدًا أَنَّ الْحَيَاةَ بِلَا عِزٍّ لَا تُطَاقُ، وَأَنَّ الدَّلَّ فِي السَّلَمِ أَشَدُّ وَقَعًا مِنَ الْمَوْتِ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ، فَيَرَى أَنَّ الصَّبْرَ يَتَحَوَّلُ إِلَى ضَعْفٍ إِذَا طَالَ، وَيُؤَسِّسِي الصَّمْتَ خِيَانَةً إِنْ لَمْ يُكَسَّرْ بِصَوْتِ السُّيُوفِ؛ لِذَلِكَ يَضَعُ قَوْمَهُ أَمَامَ خِيَارِ حَاسِمٍ، إِمَّا الْقِتَالَ دِفَاعًا عَنِ الشَّرَفِ، أَوْ الْهَلَاكَ تَحْتَ وَطْءِ الدَّلِّ وَالْمَهَانَةِ، وَهُنَا تَلَجَّأُ الذَّاتُ الشَّاعِرَةُ إِلَى إِسْقَاطِ تَصَوُّرَاتِهَا الشَّخْصِيَّةِ، وَرُؤَاهَا النَّفَاقِيَّةِ، وَتَأْوِيلَاتِهَا الْخَاصَّةِ عَلَى الْأَشْيَاءِ، مُكْسِبَةً إِيَّاهَا بُعْدًا دِلَالِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، وَهَذَا مَا يَنْضَحُ فِي قَوْلِهِ: (الْكَامِل) (الصِّيرْفِيُّ، 1970م: ص215-221).

أَبْلَغُ ضَبِيعَةٍ كُفِّلَهَا وَوَلِيدَهَا	وَالْحَرْبُ تَنْبُو بِالرِّجَالِ وَتَضُرُّ
الْقَوْمُ أَتَوْكُم بِأَرْعَنَ جَحْفَلٍ	حَنِيقِينَ إِلَّا تَفَرَّسُوهُمْ تُفَرَّسُوا
خَيْرٌ مِنَ الْقَوْمِ الْعَصَاةُ أَمِيرَهُم	يَا قَوْمَ فَاسْتَحْيُوا النِّسَاءَ الْجُلُوسُ
مَا إِنْ أَزَالَ أَدَبٌ عَنْكُمْ كَاشِحًا	قَدْ كَادَ مِنْ حَقِّ بَسْمٍ يَقْلِسُ
أَتَقُولُ هُمْ مَنَعُوا حَنِيفَةً حَقَّهُمْ	بَعْدَ الْكِفَالَةِ وَالتَّوْتُقِ أَمْ نَسُوا
لَمْ يَعْلَمُوا أَنْ قَدْ مَشَى حَذَرَ الْخَزْيِ	بِالسَّيْفِ لِلْمَوْتِ ابْنُ بَدْرَةَ بِيَهْسُ

إِنَّ الرَّفْضَ الَّذِي سَجَّلَهُ الْمُتَلَمِّسُ الضُّبُعِيُّ فِي نَصِّهِ هَذَا جَسَدَ صَوْتًا مُهَمَّشًا يَحْتِجُ بَعْضَ أَخْلَاقِيٍّ عَلَى خِيَانَةِ الْعُهُودِ وَتَخَاذُلِ الْجَمَاعَةِ، مُتَمَرِّكًا حَوْلَ مُتَكَلِّمٍ يُمَثِّلُ الذَّاتَ الْجَمْعِيَّةَ الَّتِي أَقْصَيْتْ عَنِ الْمَشْهَدِ رَغَمَ وَفَائِهَا؛ فَهُوَ يَعِيشُ وَاقِعًا صَعْبًا يَفْرُضُ عَلَيْهِ "أَنْ يَسْلُكَ أَسْلُوبًا مُعَيَّنًا فِي حَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ كَرَدِّ فِعْلٍ لِمَا لَحِقَ بِهِ مِنْ ضَمِيمٍ أَوْ رَغْبَةٍ مِنْهُ فِي تَغْيِيرِ وَضْعِ مَا، أَوْ بُلُوغِ غَايَاتِهِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ" (بُوبِيعُو، 2001م: ص69)؛ لِنَتَحَوَّلَ لُغَتُهُ مِنَ الْعِتَابِ إِلَى التَّحْرِيزِ، وَمِنْ الشَّكْوَى إِلَى التَّهْدِيدِ فِي ظِلِّ تَفَكُّكِ الْمَرْكَزِ (الْقَوْمِ، الْقِيَادَةِ، الْعَهْدِ)، يَصْعَدُ الْهَامِشُ؛ بِوصفه فاعلاً مُتَمَثِّلًا فِي (ابْنِ بَدْرَةَ بِيَهْسِ)، الَّذِي لَا يُطَالِبُ بِحَقِّهِ بَلْ يَنْتَزِعُ عَنْهُ، مُتَمَرِّدًا عَلَى سُلْطَةِ النِّسْيَانِ وَالْخُوعِ، فَالْقَصِيدَةُ فِي جَوْهَرِهَا بَيَّانُ غَضَبٍ مُقَاوِمٍ يُعِيدُ تَعْرِيفَ الْبُطُولَةِ مِنْ مَنْظُورِ الْمُهَمَّشِ لَا الْمُسَلِّطِ، وَيُحَوِّلُ الْأَلَمَ إِلَى فِعْلٍ وَالتَّهْمِيشَ إِلَى تَمْكِينٍ.

كَمَا يَكْشِفُ النَّصُّ عَنْ عُمُقِ الْأَلَمِ الَّذِي يَنْتَابُ الضُّبُعِيَّ حِينَ يَرَى قَوْمَهُ يَعِيشُونَ فِي رَخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَلَا يَأْبَهُونَ لِلْأَخْطَارِ الَّتِي تَحْدُقُ بِهِمْ، وَبَيَدَ أَنْ فِي عُمُقِهِ لَيْسَ فَقَطْ صَرَخَةٌ سِيَاسِيَّةٌ أَوْ حَمَاسِيَّةٌ، بَلْ مَوْقِفٌ وَجُودِيٌّ، فَالشَّاعِرُ هُنَا يَقْدِمُ دَأْتَهُ كـ(ضَحِيَّةٍ وَاعِيَةٍ)، لَكِنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ ضَحِيَّةً خَامِلَةً، بَلْ يُحَاوِلُ صِنَاعَةَ فِعْلٍ أَخْلَاقِيٍّ وَسَطِ الْإِنْهِيَارِ؛ فَهُوَ يَقُومُ بِمُوَاجَهَةِ "التَّجْرِبَةِ فِي أَقْسَى حَالَاتِ التَّوَثُّرِ أَوْ التَّحَفُّزِ، مُوَاجَهَةِ الصُّعُوبَةِ بِمُفْرَدِهِ؛ لِيَقِفَ وَجْهًا إِلَى وَجْهِ أَمَامِ الْعُقْدَةِ الَّتِي اقْتَحَمَ عَلَيْهَا كَهُوفُهَا الْمُظْلِمَةَ، حَامِلًا مَعَهُ قَبَسَ النَّأْمَلِ الْعَبْقَرِيِّ" (القصاب، 1979م: ص68)، لِيُشَكِّلَ تَمَثِيلًا مُكْتَفًى لَانْفِجَارِ صَوْتِ مُهَمِّشٍ، لَا يَوْصِفُهُ مُجَرَّدَ صَدَى لِلخِذْلَانِ، بَلْ كَذَاتٍ وَاعِيَةٍ تُعَرِّيُ الْبَنِيَّةَ السُّلْطَوِيَّةَ الْمُتَصَدِّعَةَ الَّتِي خَانَتْ الْعَهْدَ وَنَكَصَتْ عَنِ الْكِفَالَةِ، لِتَجِدَ الْجَمَاعَةَ نَفْسَهَا فِي مُوَاجَهَةِ مَصِيرِهَا وَحَدَهَا، فَالْمُتَكَلِّمُ فِي حَالَةِ احْتِدَامٍ بَيْنَ الْوَفَاءِ وَالْغَضَبِ، يَقْدِمُ نَفْسَهُ كِفَاعِلٍ مُسْتَبْعِدٍ، ظَلًّا يَدْبُ عَنْ قَوْمٍ يُضْمِرُونَ لَهُ الْجَفَاءَ لَكِنَّهُ لَا يَتَرَجَّعُ؛ لِأَنَّ مَعْرَكَتَهُ أَعَمَقُ مِنْ لَحْظَةِ الصِّرَاعِ، إِذْ إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ مِنْ أَجْلِ اسْتِرْجَاعِ الْكَرَامَةِ وَتَنْبِيْثِ الْحَقِّ، فِي هَذَا السِّيَاقِ لَا يُعَدُّ الْغَضَبُ انْفِعَالًا، بَلْ مَوْقِفًا أَخْلَاقِيًّا يُدِينُ صَمْتَ الْجَمَاعَةِ وَخُضُوعَهَا، وَيُعلنُ وَلَادَةَ الْفِعْلِ مِنْ قَلْبِ التَّهَمِيشِ، وَشَخْصِيَّةُ (ابن بَدْرَةَ بِيَهَس) تَظْهَرُ فِي الْخِتَامِ لَا كَفَرْدٍ، بَلْ كَرَمَزٍ لِلْهَامِشِ الْمُتَنَقِصِ، الَّذِي قَرَّرَ أَلَّا يُفَاوِضَ الْخِزْيَ، بَلْ يُلَاقِي الْمَوْتَ بِسِفِهِ، مُنْجِيًا لِلْقَصِيدَةِ بَعْدَهَا الْوُجُودِيَّ بِوَصْفِهَا خُطَابَ رَفْضٍ لَا يَسْعَى لِلْإِعْتِرَافِ، بَلْ يُعِيدُ تَشْكِيلَ الْقِيَمِ خَارِجَ سُلْطَةِ الْمَرْكَزِ.

ثانيًا. التَّمَرُّدُ عَلَى السُّلْطَةِ: (الْمُلُوكُ، الْأَعْرَافُ).

إِنَّ حُدُودَ تَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ التَّمَرُّدِ تُمَثِّلُ أَحَدَ الْمَحَاوِرِ الْمَرْكَزِيَّةِ الَّتِي انشَغَلَ بِهَا النُّقْدُ النَّقَافِيُّ، وَأَنَّ حَقِيقَةَ إِدْرَاكِهَا مُرْتَبِطَةٌ بِإِدْرَاكِ السِّيَاقَاتِ النَّصِّيَّةِ الَّتِي تُرَدُّ فِيهَا؛ بِوَصْفِهَا الْمُعْبَرِ الْحَقِيقِيِّ عَنْ جَمَالِيَّاتِ النَّصِّ وَهِيَ "أَخْطَرُ حِيلِ النَّقَافَةِ لِتَمْرِيرِ أَنْسَاقِهَا وَإِدَامَتِهَا" (الغذامي، 2011م: ص78)، مِمَّا يُبْرِهُنُ عَلَى مُقَارَبَةِ الْوُظَائِفِ الْجَمَالِيَّةِ الَّتِي يُفْضِي إِلَيْهَا التَّحْلِيلُ الشِّعْرِيُّ فِي مُحَاوَلَةِ فَحْصِ الْأَسَاسِ الْعَمِيقِ الَّذِي يَبْنِي عَلَيْهِ النَّصُّ الْإِبْدَاعِيَّ، وَعَلَيْهِ فَقَدْ أَخَذَ التَّمَرُّدُ عَلَى السُّلْطَةِ مَآخِذًا تَأْسِيسِيًّا لِمُمَارَسَةِ تَقْدِيَّةٍ جَدِيدَةٍ تَمَثَّلَتْ فِي خَرَقِ نُمُودِجِ الْقِيَمِ لِلْقَبْلِيَّةِ، مِمَّا يَقْدِمُ لِنَصِّ مُتَمَرِّدٍ إِبْدَاعِيٍّ قِيَمًا خَاصَّةً تُقَوِّدُهُ مَعَانَاةُ الشَّاعِرِ النَّفْسِيَّةُ فِي حَالِهِ مِنَ الْإِحْبَاطِ، وَفِي أَجْوَاءٍ مَمْلُوءَةٍ بِرَاحَةِ الْيَاسِ بِسَبَبِ الظُّلْمِ وَالْحَرَمَانِ.

وَعَلَى وَفْقِ هَذَا التَّأْسِيسِ يُجَسِّدُ التَّمَرُّدُ عَلَى السُّلْطَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَمَلِّسِ الضُّبُعِيِّ مَوْقِفًا وَاضِحًا مِنْ رَفْضِ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، حَيْثُ عَبَّرَ فِي شِعْرِهِ عَنْ سَخَطِهِ مِنَ الْحُكَّامِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمَلِكُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ، مُسْتَحْدِمًا الْهَجَاءَ كَسِلَاحٍ لِفُضْحِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْإِنْجِرَافِ عَنِ الْقِيَمِ، وَقَدْ تَجَلَّى تَمَرُّدُهُ فِي قِصَّتِهِ الشَّهِيرَةِ عِنْدَمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ كِتَابٌ يَحْمِلُ أَمْرًا بِقَتْلِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْخُدْعَةَ وَنَجَا بِنَفْسِهِ، لِيُصْبِحَ رَمْزًا لِلشَّاعِرِ الْحُرِّ الَّذِي يَرْفُضُ التَّبَعِيَّةَ وَالْخُضُوعَ، فَيَنْتَسِمُ شِعْرُهُ بِنَبْرَةٍ قَوِيَّةٍ تُعْبِرُ عَنِ كَرَامَةِ فَرْدِيَّةٍ تَرْفُضُ الْقَهْرَ، مِمَّا جَعَلَهُ صَوْتًا صَارِخًا فِي وَجْهِ السُّلْطَةِ الْجَائِرَةِ فِي عَصْرِهِ، إِذْ يَقُولُ: (البسيط) (الصيرافي، 1970م: ص203-211).

وَالْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالرَّسْلَةُ الْأَجْدُ	إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ
وَلَا تَكُونُوا كَعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعْدُوا	كُونُوا كَبَكْرٍ كَمَا قَدْ كَانَ أَوْلَحُمُ
كَمَا أَكَبَّ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْفَهْدُ	يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْخَطَّ مَنْزِلَهُمْ
إِلَّا الْأَذْلَانُ: عِيرُ الْأَهْلِ وَالْوَتْدُ	وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ
وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَرِثِي لَهُ أَحَدُ	هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرَمْتِهِ

حَمَلَ الضَّبْعِي فِي قَصِيدَتِهِ خَطَابًا ثَوْرِيًّا مُقَنَّنًا يُؤُولُ بِقَصْدِيَّةٍ تَمَرُّدٍ ضِدَّ كُلِّ سُلْطَةٍ تَسْحَقُ الْإِنْسَانَ وَتُسْتَعْبِدُهُ، مِمَّا يَجْعَلُ النَّصَّ بَيِّنًا شِعْرِيًّا ضِدَّ الْقَبُولِ بِسِيَاسَاتِ الْقَهْرِ وَالْخُضُوعِ، وَدَعْوَةً صَرِيحَةً لَاسْتِعَادَةِ رُوحِ الْمَقَاوِمَةِ وَالنُّخُوَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ فِي وَجْهِ السُّلْطَةِ الْقَامِعَةِ. وَعَلَى رَغم أَنَّ الشَّاعِرَ لَا يَذْكُرُ السُّلْطَةَ بِشَكْلِ صَرِيحٍ وَمُبَاشِرٍ، فَهَذَا يَدْعُو إِلَى التَّنْظَرِ فِي "عَلَاقَةِ النَّصِّ بِقَائِلِهِ، مِنْ خِلَالِ الْعَوْدَةِ إِلَى سِجْلِهِ، حَيْثُ يَكُونُ الْمُتَلَقِّي لِلْعَلَامَةِ فِي شَكْلِهَا الْمُجَرَّدِ الطَّبِيعِيِّ الْمُتَحَرَّرِ مِنْ نِسْقِ اللَّغَةِ وَالنَّصِّ" (خَالِفِي، 2011م: ص172)، إِلَّا أَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَى رُمُوزٍ قِبَائِلِيَّةٍ وَبَبْيُئِيَّةٍ (الْجَمَارِ، الْفَهْدُ، الْوَتْدُ) لِتَصْوِيرِ الْقَهْرِ الَّذِي يُمَارَسُ عَلَى النَّاسِ، وَيَجْعَلُ مِنَ التَّمَرُّدِ فِعْلَ كَرَامَةٍ، وَمِنَ الْخُضُوعِ عَارًا، مُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّ السُّكُوتَ عَلَى الدُّلِّ يُؤَدِّي إِلَى خِيَانَةِ الْكَرَامَةِ وَالْهُوِيَّةِ.

إِنَّ الشَّاعِرَ فِي هَذَا النَّصِّ حَاوَلَ إِضْفَاءَ رَمَزٍ لـ (الْجَمَارِ) لِلتَّبَعِيرِ عَنِ الدُّلِّ وَالْخُضُوعِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَيُقَابِلُهُ بِ(الْحُرِّ)، الَّذِي يَرْفُضُ الْهَوَانَ، وَالرَّسْلَةَ الْأَجْدَ (الْمُطَيَّةَ الشَّدِيدَةَ) أَيْضًا لَا تَقْبَلُ الدُّلَّ، فَهُوَ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ يَرْضَى بِالسُّلْطَةِ الْجَائِرَةِ وَيَخْضَعُ لَهَا، وَبَيْنَ الْحُرِّ الرَّافِضِ لِلطُّغْيَانِ وَالدُّلِّ، وَهَذَا كُلُّهُ تَمْهِيدٌ لِإِذَانَةِ الْخُضُوعِ، ثُمَّ يَحُثُّ قَوْمَهُ عَلَى أَنْ يَقْتَدُوا بِأَجْدَادِهِمُ الْأَحْزَارِ (بَكَر) الَّذِينَ كَانُوا أَهْلَ عِزَّةٍ وَمَوَاقِفٍ، لَا كـ (عَبْدِ الْقَيْسِ) الَّذِينَ قَعَدُوا، أَيْ اسْتَكَنُوا وَسَكَنُوا عَنِ الظُّلْمِ، مُتَمَرِّدِينَ عَلَى التَّخَاذُلِ، وَأَيْضًا دَعْوَةً إِلَى اسْتِعَادَةِ الدُّورِ الْقِبَائِلِيِّ الْمَقَاوِمِ، لَا الْبَقَاءِ فِي خَانَةِ السُّكُوتِ عَنِ السُّلْطَةِ الْجَائِرَةِ، فِي ظِلِّ الْاسْتِذْكَارِ الْقَائِمِ عَلَى تَحْرِيكِ مَاسَاةِ الدَّاتِ نَحْوِ "تَرْتِيلِ طُفُوسِ الْأَلَمِ وَتَرْدِيدِ مَخَافَتِهِ عَلَى الدَّاتِ، لِنَتَشَأَ بَيْنَ اللَّغَةِ وَالدَّلَالَةِ عِلَاقَةً تَرْتَدُّ بِالرُّؤْيَا إِلَى اسْتِعَارَةِ تَعَابِيرِ الْعُنْفِ اللَّغَوِيِّ وَتُمَثِيلِ مُدْرَكَاتِهِ" (نَجِيجِي، 2024م: ص267)، مُسْتَنِدًا إِلَى الْاسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ: (يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْخَطَّ مَنْزِلَهُمْ)، أَيْ تَسْلِيمِ وَاسْتِسْلَامِ تَامٍ؛ لِأَنَّهُمْ سَقَطُوا فَرِيسَةً لِلْعَدُوِّ مِثْلَمَا يَنْفُضُ الْفَهْدُ عَلَى الْفَرِيسَةِ، وَهَذَا تَصْوِيرٌ سَاحِرٌ مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِلْسُّلْطَةِ، مِمَّنْ يُعْطُونَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ دُونَ مُقَاوِمَةٍ، فِي إِشَارَةٍ إِلَى التَّفْرِيطِ فِي الْحُقُوقِ تَحْتَ الضَّغْطِ السُّلْطَوِيِّ.

إِنَّ مَا اتَّخَذَهُ الضَّبْعِيُّ نَزْعَةً فِي الدِّهْنِ لِرُؤْيَا كُلِّ شَيْءٍ أَسْوَدَ قَاتِمًا، مُثِيرًا لِتَجَرِبَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ طُرُوفِ الْحَيَاةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، فَهُوَ يَعْتَمِدُ عَلَى أَلْفَاظٍ يَنْتَخِبُهَا فِي مِثْلِ: (الْخَسْفِ)، يَقْصِدُ بِهِ الظُّلْمَ وَالْإِذْلَالَ وَالْهَوَانَ وَالنَّقْصَانَ، وَهُوَ الضَّمِيمُ فِي النَّاسِ، وَفِي الدُّوَابِ حَبْسَهَا، فَالْجَمَارُ مَرْبُوطٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفِكَافَ، وَالْوَتْدُ يَضْرِبُ وَيُشْجُ رَأْسُهُ وَلَا أَحَدٌ يُوَاسِيهِ، مُجَسِّدًا صُورَةَ رَمْزِيَّةٍ مَرِيرَةٍ مُفَادًا أَنَّ مَنْ يَخْنَعُ لِلْسُّلْطَةِ؛ يَحْمِلُ الدُّلَّ وَلَا يُوَاسِيهِ أَحَدٌ وَلَا يَلْتَقِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْمَهَانَةِ، فَهُوَ يَقْدِمُ صَرَخَةً تَمَرُّدٍ عَلَى الْوَاقِعِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يُكَافِي الدُّلَّ، وَيُذَيِّبُ الْاسْتِكَانَةَ لِلْسُّلْطَةِ أَوْ الظُّلْمِ، إِنَّهُ يَرْفُضُ الرِّضَا بِالْأَلَمِ مَهْمَا كَانَتْ الطُّرُوفُ، وَالتَّنَازُلُ عَنِ الْكَرَامَةِ، وَيَدْعُو إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْأَصَالَةِ وَمَوَاقِفِ الْبُطُولَةِ وَالْمَقَاوِمَةِ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يُمَكِّنُنَا الْقَوْلُ: إِنَّ النَّصَّ أَبْرَزَ صَوْتًا مُهْمَشًا مُتَمَرِّدًا عَلَى مَنْظُومَةِ سُلْطَوِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُرَكَّزَةٍ، وَنِظَامٍ قِيمِيٍّ اجْتِمَاعِيٍّ تَرَسَّخَ فِيهِ الطَّاعَةُ الْعَمِيقَةُ وَالرِّضَا بِالْمَهَانَةِ كَأَحَدِ أَشْكَالِ السَّلَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَالْمُتَلَمِّسُ الضَّبْعِيُّ يُفَكِّكُ هَذَا النِّظَامَ عَبْرَ اسْتِعَارَاتٍ نَقَافِيَّةٍ شَدِيدَةِ الدَّلَالَةِ: فـ (الْجَمَارُ وَالْوَتْدُ) لَيْسَا مُجَرَّدَ رُمُوزٍ لِلدُّلِّ، بَلْ تُمَثِّلَانِ لِأَدْوَارِ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُفْرَضَةٍ تُعِيدُ إِنتَاجَ الْخُضُوعِ وَتُطْبِعُ الْقَهْرَ فِي بُنْيَةِ الْجَمَاعَةِ، وَمِنْ خِلَالِ مُقَارَنَةِ (بَكَر وَعَبْدِ الْقَيْسِ)، يَتِمُّ كَشْفُ الْيَاتِ الثَّأْرِخِ النَّقَافِيِّ الْإِنْتِقَائِيِّ الَّذِي يُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الْقِبَائِلِ الْمَقَاوِمَةِ، وَيَفْضَحُ مَنْ اسْتَسَلَّمَ، وَبِذَلِكَ تَتَحَوَّلُ الْقَصِيدَةُ إِلَى خُطَابٍ مُضَادٍّ لِلْسُّلْطَةِ الرَّمْزِيَّةِ، حَيْثُ تُسْتَنْفَرُ الدَّائِرَةُ الْجَمْعِيَّةُ لَا بِوَصْفِهَا حَنِينًا لِلْمَاضِي، بَلْ كَمُخْرُوجٍ لِلْمَقَاوِمَةِ يُسْتَعَادُ ضِدَّ حَاضِرٍ مَارُومٍ بِالْخُضُوعِ، فَيَقْدِمُ الْحُرُّ لَا كَفَرْدٍ فَقَطْ، بَلْ كـ (مَوْقِفٍ نَقَافِيٍّ) يَنْفُضُ الْبُنْيَةَ السُّلْطَوِيَّةَ مِنْ دَاخِلِهَا.

إِنَّ الْأَصْلَ النَّقَائِيَّ فِي مَقْدَمَةِ الْقَصِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ نَعْدُ ظَاهِرَةً مَعْرُوفَةً، وَتَكَادُ تَكُونُ قَدَرًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَلِلْأَطْلَالِ فِيهَا قِصَّةٌ ذَاتُ شَجْوَنٍ، فَقَدْ كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الدِّيَارِ الدَّوَارِسَ وَمُخَاطَبَةُ الرُّبُوعِ الْخَوَالِي سِمَةً الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ وَهَوَاهُ، وَلَكِنَّ الْمُتَلَمَّسَ الضُّبْعِيَّ قَدْ عَارَضَ هَذَا التَّأْسِيسَ النَّقَائِيَّ لِلْقَصِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمْ يَبْدَأْ بِوصفٍ لَطِيفٍ، أَوْ غَزَلٍ جَمِيلٍ، بَلْ بِصَوْتٍ شَعْرِيٍّ هَجَائِيٍّ ثَائِرٍ، يَتَكَيُّ عَلَى بَنِيَةِ التَّمَرْدِ، وَتُحْمَلُ فِيهَا نَبْرَةٌ الْإِحْتِجَاجِ الْوَاضِحِ عَلَى قَبِيلَتِهِ، مُمَثَّلَةً بِ(بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ)، إِذْ افْتَتَحَهَا بِصِيغَةِ إِنْكَارِيَّةٍ اسْتِنكَارِيَّةٍ، وَهِيَ صِيغَةٌ فِيهَا تَوْبِيحٌ وَازْدِرَاءٌ ذَاتُ نَبْرَةٍ تَمَرْدٍ وَاضِحَةٍ، فَيَقُولُ: (الْبَسِيطُ) (الصِّرْفِيُّ، 1970م: ص 76 - 80).

ثَمَّةٌ	إِنَّ	يَا آلَ بَكْرِ أَلَا اللَّهُ أَمْكُم	طَالَ النَّوَاءُ وَثَوْبُ الْعَجَزِ مَلْبُوسٌ
تَلَاوُزًا	أَغْنَيْتُ شَأْنِي، فَأَغْنُوا الْيَوْمَ شَأْنَكُمْ	وَأَسْتَحْفِقُوا فِي مِرَاسِ الْحَرْبِ أَوْ كَيْسُوا	بَيْنَ
	إِنَّ عِلَافًا وَمَنْ بِاللَّوْذِ مِنْ حَضَنٍ	لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ دِينَ خَلَابِيسُ	
	شَدُّوا الْجِمَالَ بِأَكْوَارٍ عَلَى عَجَلٍ	وَالظُّلْمُ يُنْكِرُهُ الْقَوْمُ الْمَكَائِيسُ	
	كَانُوا كَسَامَةً إِذْ شَعَفَ مَنَازِلُهُ	ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِهِ الْيُزْلُ الْقَنَاعِيسُ	

الشَّاعِرُ وَقَوْمُهُ (آلُ بَكْرِ)، وَهُوَ مَا يَنْبَغِي الْكَشْفُ عَنْهُ فِي هَذَا النَّصِّ، حَيْثُ يُوجَّهُ لَهُمْ نِدَاءٌ مُثَقَّلًا بِوَجْعِ الْغُرْبَةِ وَلَذَّةِ الْخَنِينِ إِلَى الْأَهْلِ، لَكِنَّهُ يَشْتَعِلُ غُفًا وَثَوْرَةً وَرَفَضًا لِلظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ الَّذِي يُبَارِسُهُ هَذَا الْمَلِكُ الظَّالِمُ بِحَقِّ أَهْلِهِ، وَفِي هَذَا الْغُنْفِ يَنْصَهَرُ أَلَمُ الْفِرَاقِ بِلَذَّةِ الثَّوْرَةِ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ عَقَالِ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَقَوْلُهُ: (اسْتَحْفِقُوا) بَدَتْ مُثِيرَةً جَدًّا، إِذْ تُحَرِّضُهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ الْخُفِّ فِي الْحَرْبِ، فِي مُقَابِلِ الْكَيْسِ (الْحِكْمَةِ أَوْ الْعَقْلِ)، وَهَذَا تَصْعِيدٌ لَعَوِيٍّ يَلْبِسُ الْمَعَايِيرَ، وَكَأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُمْ: (إِذَا كَانَ التَّمَرْدُ جُنُودًا، فَكُونُوا مَجَانِينًا)، وَهِيَ دَعْوَةٌ لِلتَّمَرْدِ الصَّرِيحِ عَلَى الْعَقْلَانِيَّةِ الرَّافِغَةِ الَّتِي تُبَرِّرُ الْخُنُوعَ، وَتُعَلِّفُ الْإِسْتِسْلَامَ بِالْحِكْمَةِ، فِي حِينٍ أَنَّ الظُّلْمَ يَسْتَدْعِي الْمُوَاجَهَةَ، فَالضُّبْعِيُّ مُقْتَنِعٌ تَمَامًا بِضَرُورَةِ التَّغْيِيرِ نَحْوِ الْأَفْضَلِ كَمَا فَعَلَ هُوَ؛ لِذَلِكَ يَطْلُبُ مِنْ قَوْمِهِ الرَّجِيلَ عَنْ ظُلْمِ الطَّاعِيَةِ وَالْعَيْشِ بَعِيدًا عَنْهُ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى الثَّوْرَةِ وَالتَّمَرْدِ وَالرَّجِيلِ عَنْ مَكَانٍ يَرْتَعُ فِيهِ الظُّلْمُ وَيَنْتَصِرُ فِيهِ الْبَاطِلُ عَلَى الْحَقِّ، وَهَذَا يَجِدُ الشَّاعِرُ فِي تَحْرِيطِ قَوْمِهِ عَلَى الْمَلِكِ وَالثَّوْرَةِ عَلَيْهِ تَفْرِيعًا انْفِعَالِيًّا لِمَا يُعَانِيهِ مِنْ غَمِّ الْأَلَمِ وَشِدَّةِ الْحُزَنِ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ الشَّعْرِيَّةُ النَّاطِقَةُ بِالثَّوْرَةِ تُظْهِرُ نَظْرَةَ الشَّاعِرِ وَرُؤْيِيَّةَ الْخَاصَّةِ وَمَوْقِفَهُ الْفِكْرِيَّ لِمَا آَلَ إِلَيْهِ وَضَعُهُ الرَّافِضُ لِأَلِيَّةِ الظُّلْمِ وَالْإِسْتِصْغَارِ، فَقَصِيدَتُهُ هَذِهِ ثَوْرِيَّةٌ رَافِضَةٌ لِمَظَاهِرِ الْإِسْتِسْلَامِ وَالْإِنْجَاءِ وَالْإِدْعَانِ كَافَةً؛ لِتُفْصِحَ عَنْ "بَطَاقَةِ حُزْنٍ قَصِيرَةٍ كَتَبَهَا بِدَمِ الْقَلْبِ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْعِرَاقِ، وَحَكَى فِيهَا مَوَاجِعَهُ وَصُورَ شَوْقِهِ، وَخَاطَبَ قَوْمًا وَثَرُوا بِبَعْضِ دَمِهِمْ فَاسْتَمَرُّوا الدُّلَّ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ هَذَا الزَّادَ الْخَبِيثَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الثَّوْرَةِ عَلَى الْمَلِكِ الطَّاعِيَةِ" (رُومِيَّة، 1979م: ص 176)، وَهَذَا هُوَ سَبِيلُ الْوُصُولِ إِلَى تَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ الَّتِي تُرَاوِدُهُ، فَقَوْلُهُ:

شَدُّوا الْجِمَالَ بِأَكْوَارٍ عَلَى عَجَلٍ وَالظُّلْمُ يُنْكِرُهُ الْقَوْمُ الْمَكَائِيسُ

يُمَثِّلُ انْعِكَاسًا حَقِيقِيًّا لِمَشْهَدٍ تَصَوِيرِيٍّ لِلْفِرَارِ أَوْ التَّخَاذُلِ، إِذْ (شَدُّ الْجِمَالِ عَلَى عَجَلٍ)، إِشَارَةٌ إِلَى الْهَرَبِ، بَيْنَمَا الظُّلْمُ مَرْفُوضٌ عِنْدَ الْقَوْمِ الْعُقَلَاءِ، فَإِنَّ مَنْ شَدَّ الْجِمَالَ هُنَا قَبْلَ مُوَاجَهَةِ الظُّلْمِ، أَوْ تَخَلَّى عَنْ مُوَاجَهَتِهِ؛ لِأَنَّ "التَّجَارِبَ الْأَلِيمَةَ الَّتِي يُعَانِيهَا الْمَرْءُ لَا بُدَّ أَنْ تَتَدَمَّجَ فِي صَمِيمِ وَجُودِهِ، فَتُصْبِحَ بِذَلِكَ ثَرَوَةً بَاطِنَةً تَدْخِرُهَا الذَّاتُ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَتَتَسَلَّحُ بِهَا ضِدَّ مَا يَسْتَجِدُّ مِنَ الْهَجَمَاتِ" (إِبْرَاهِيم، (د - ت): ص 36)، إِذْ إِنَّهُ إِذَا نَظَرَ صَارِخَةً لِلْمَوْقِفِ الْإِنْصَحَابِيِّ، وَلِأُولَئِكَ الَّذِينَ فَضَّلُوا النِّجَاةَ الْفَرْدِيَّةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الظُّلْمِ، وَهَكَذَا أَعْلَنَ تَمَرُّدَهُ وَاحْتِجَاجَهُ؛ لِأَنَّ تَوَجُّهَاتِ الذَّاتِ لَمْ تُعَدْ مُتَالِيَةً مَعَ الْقَبِيلَةِ.

وبناءً على ذلك، فإن النص يُعبر عن رفض جذري للبنى القيميّة التي تُكرّس الطاعة والخُوع باسم العقل، أو التقاليد القبلية، فهي تُمارس تفكيراً رمزياً للسلطة، ليس بوصفها كياناً سياسياً فقط، بل كمجموعة من المفاهيم الثقافية التي تُجمل العجز وتُشيطن الثمر، فالضُبُعِيّ يقلب معايير الفهم الجمعي حين يجعل (الحمق) مُرادفاً للشجاعة، و(الكيس) علامةً على الجبن، كاشفاً عن أزمة ثقافية تُعيد إنتاج الدّل باسم الفضيلة، وبهذا يتحول النص إلى أداة مقاومة ثقافية، يهدف إلى تقجير وعي جمعيّ جديد يتجاوز الخُوع الموروث، ويُؤسس لفعل تحرريّ ينبع من نقد الذات والقطيعة مع منظومة القيم التي تحمي الاستبداد من الداخل.

إنّ النفس الإنسانية وما يَعتمَلُ فيها من أحاسيس وانفعالات، فهي في حالة صفائها وهذوئها وسعادتها ونشوتها ترى الوجود جَمِلاً فتُصوره في ضوء ذلك الإحساس، ولكنها حين يَعْتَكِرُ صَفْوُها وتُضطرب أحاسيسها تُصَوِّرُ انفعالاتها مُعَبَّرَةً عن نقيض تلك الانفعالات الجسيمة، فتُبدي ما هو قبيح وذميم، والإنسان هو دائماً مصدر هذا الإحساس بمعناه السلبي والإيجابي (بوبيعوي، 2001م: ص 102)، وهذا ما جسده المثلّس الضُبُعِيّ، عندما هاجم (عمرو بن هند)؛ بوصفه رمزاً للغدر والضعف الأخلاقي، كاشفاً زيف الهبة المرتبطة به في المخيال الجمعي، ويُسقاه انتماءه السبي والاجتماعي، ممّا يعكس موقفاً شعرياً ناقداً لمنظومة القيم التي تُكرّس الشرعية للحكم على أساس النسب والقوة لا على أساس العدالة، واتّضح ذلك يستجلي من قوله: (الكامل)، (الصيرفي، 1970م: ص 42 - 48).

أُطْرِدْتِي حَذَرَ الْهَجَاءِ وَلَا	وَأَلَاتٍ وَالْأَنْصَابِ لَا تَنْلِ
وَرَهْنَتِي هِنْدًا وَعَرْضَكَ فِي	صُحُفٍ تَلُوحُ كَاتِبُهَا خُلُلٌ
شَرُّ الْمُلُوكِ وَشَرُّهَا حَسَبًا	فِي النَّاسِ مَنْ عَلِمُوا وَمَنْ جَهَلُوا
الْغَدْرُ وَالْآفَاتُ شِيمَتُهُ	فَأَفْهَمَ فَعْرِقُوبُ لَهُ مَثَلُ
بِئْسَ الْفُحُولَةُ حِينَ جُدَّتْهُمْ	عَرَكَ الرَّهَانِ وَبِئْسَ مَا بَخُلُوا
أَعْنِي الْخُؤُولَةُ وَالْعُمُومُ فَهُمْ	كَالطِّبْنِ لَيْسَ لِبَيْتِهِ حَوْلُ

تَنجَلِي قُدْرَةُ الشَّاعِرِ هُنَا عَلَى مُعَالَجَةِ الْحَدَثِ فِي أَرْضِيَّةٍ مُشْرَكَةٍ تُمَثِّلُ جَدَلِيَّةَ الْوَقْعِ وَالْحُلُمِ، تِلْكَ الْجَدَلِيَّةُ الَّتِي تُعَزِّزُ مَفْهُومَ اللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ لِيُكُونَا ثَنَائِيَّةً صِدِّيَّةً تُسَلِّمُ الْوَقْعَ، وَتُسْجِلِي الْأَحْدَاثَ، وَتُعَوِّضُ فِي مَجَاهِلِ الْقَوْلِ عَلَى وَفْقِ مَفَاهِيمٍ وَقِيمٍ جَدِيدَةٍ، يُحَاوِلُ مِنْ خِلَالِهَا اسْتِكْنَاهَ حَقِيقَةِ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِي الَّذِي يَضْرِبُ بِجُدُورِهِ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ سَلْبًا أَوْ إِبْجَابًا؛ لِتَحْدِيدِ طَبِيعَةِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يُحَاوِلُ الْحَدِيثُ عَنْهَا فِي تَشْكِيلِهِ الشِّعْرِيّ، فَيَنْتَهُمُ السُّلْطَةَ بِالْخِيَانَةِ كَالْغَدْرِ، وَالْآفَاتِ كَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، وَيُشِيرُ إِلَى مَثَلِ (عُرْقُوبِ) الَّذِي كَانَ يَعْذُو وَلَا يَفِي، وَهُوَ مَثَلٌ عَرَبِيٌّ فِي الْخِذَاعِ السِّيَاسِيِّ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ذَكِيَّةٌ لِإِظْهَارِ أَنَّ الْخَصْمَ لَيْسَ فَقْطاً لِلْأَخْلَاقِ، بَلْ رَمَازاً لِلْخِذَاعِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ؛ مُحَاوَلَةً لِلخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ الْحِصَارِ الَّذِي "يُشْعِرُ بِمَرَارَتِهِ، وَمُحَاوَلَةً لِمَدِّ الذَّاتِ الْمُتَأَلِّمَةِ لِلْإِحْسَاسِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِنْفِرَاجِ وَقَهْرِ الْوَقْعِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْهِ، وَلِتَأْخُذَ طَابَعُ الْفَضَاءِ الْمُتَعَدِّدِ الدَّلَالَةَ، وَالَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ الْمَوْقِفُ الْإِنْسَانِيُّ بِشَتَّى مُشْكِلاتِهِ، فَيَأْخُذُ أَبْعَادًا تَجْعَلُهُ مَكَانًا خَاصًّا يَتَسِمُ بِجَمَالِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كَثِيرَةِ النَّوْءِ، تَسْمُو عَلَى الْوَقْعِ وَتَتَجَاوَزُهُ لِتُشَكِّلَ مَنْطِقَةً مُوجِبَةً عَلَى الدَّوَامِ" (مُونِسِي، 2001م: ص 96)، إِذْ إِنَّ تَدَايِيَاتِ الصَّوْتِ الْمُهَمَّشِ وَثَمَرَدَهُ عَلَى السُّلْطَةِ قَدْ شَكَّلَتْ مُفْرَدَاتِ النَّصِّ وَبَنِيَّتُهُ التَّرْكِيبِيَّةَ وَالْفَنِيَّةَ بِشَكْلِ لَا فِتٍ لِلنَّظَرِ؛ مِمَّا عَزَّزَ نَجَاحَ الشَّاعِرِ فِي تَشْكِيلِهِ الشِّعْرِيّ، وَتَقْدِيمِهِ التَّبَرِيرَاتِ اللَّازِمَةَ لِحُلِّ الْأَمْرِ النَّاتِجَةِ عَنْ صِرَاعِهِ النَّفْسِيِّ وَمُعَانَاتِهِ الدَّائِيَّةِ.

حينَ يُسْتَنَارُ الشَّاعِرُ، يُسْتَنَارُ فِيهِ الإِحْسَاسُ بِالْيَاسِ وَالشُّعُورُ بِالنِّقْمَةِ، فَيُحَاوِلُ إِبْرَانَ الْجَانِبِ السَّلْبِيِّ الَّذِي اسْتَنَارَهُ مِنْ خِلَالِ هِجَائِهِ، وَيَطْفُو هَذَا الإِحْسَاسُ الدَّاخِلِيُّ بِالنِّقْمَةِ إِلَى السَّطْحِ لِيُشَكِّلَ نَفْثَاتٍ تُرْبِحُ النَّفْسَ وَتُخْرِجُهَا مِنَ الْجَوْ خَالِقِ الْمُتَأَرَّمِ الَّذِي عَاشَتْهُ، "وَقَدْ تَحَوَّلَ تِلْكَ النِّقْمَةُ وَالْوَحْشَةُ أَوْ الْحَقْدُ وَالْعَدَاوَةُ مِنْ مَجَرَّدِ إِحْسَاسَاتٍ وَجَدَانِيَّةٍ دَاخِلِيَّةٍ تَتَفَاعَلُ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ، وَتَتَعَقَّدُ لِتَتَضَاعَفَ وَتَتَطَوَّرَ، ثُمَّ تَنْصَهَرُ فِي أَعْمَاقِ الْوَجْدَانِ الْفَرْدِيِّ، ثُمَّ يُخْرِجُهَا الشَّاعِرُ إِلَى الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، بِهِجَاءٍ مَشْفُوعٍ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَلَامِحِ الْمُشَوَّهِةِ الَّتِي هِيَ فِي الْوَاقِعِ تَعْبِيرٌ مَادِّيٌّ مُحْسُوسٌ عَنِ تِلْكَ الظَّلَالِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُوحِشَةِ الْغَائِرَةِ فِي أَبْعَادِ النَّفْسِ" (بُوبَعُور، 2001م: ص 99)، لِيُخْتِمَ نَصَّهُ بِهُجُومٍ عَلَى (الْخُؤُولَةِ وَالْعُمُومَةِ)، أَيِ أَقَارِبِ السُّلْطَةِ أَوْ جَمَاعَتِهَا، وَيَصِفُهُمُ بِ(الطِّينِ)، وَهُمْ الْجُبْنَاءُ أَوْ الْعِزَّةُ، وَيُؤَكِّدُ أَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِمْ وَلَا حِمَايَةَ، وَهُوَ ثَمَرُ وَاضِحٍ عَلَى الْمَنْظُومَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالسُّلْطَةِ الْقَبِيلِيَّةِ.

أَظْهَرَ هَذَا النَّصُّ صَوْتًا احْتِجَاجِيًّا يَنْبَثِقُ مِنَ الْهَامِشِ لِيَتَحَدَّى مَرْكَزَ السُّلْطَةِ، لَا سِيَاسِيًّا فَقَطْ، بَلْ مَعْرِفِيًّا وَقِيمِيًّا، إِذْ لَا يَكْتَفِي الشَّاعِرُ بِهِجَاءِ الْمَلِكِ وَأَعْوَانِهِ، بَلْ يُعِيدُ تَفْكِيكَ الْبَنِيَّةِ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي تَمْنَحُهُمْ شَرِيعَةَ الْحُكْمِ وَالْهَيْمَنَةِ، مِنْ نَسَبٍ وَقَبِيلَةٍ وَفُحُولَةٍ، وَيُفْرِغُهَا مِنْ مَضَامِينِهَا غَيْرِ الْإِزْدِرَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ، لِيُقَدِّمَ قِرَاءَةً مُضَادَّةً لِلتَّأْرِخِ الْاجْتِمَاعِيِّ السَّائِدِ، فَالْتَّمَرُذُ هُنَا لَيْسَ فَعَلًا انْفِعَالِيًّا، بَلْ مُمَارَسَةً نَقْدِيَّةً تُعَرِّي الْأُسُسَ الثَّقَافِيَّةَ الَّتِي تَسْتَبِطُنُهَا السُّلْطَةُ وَتُعِيدُ إِنْتِاجَهَا، مِثْلَ الطَّاعَةِ، وَالْعَصِيْبِيَّةِ، وَالتَّرَائِيْبِيَّةِ الدُّكُورِيَّةِ، وَهَكَذَا تَنْفَتِّحُ الْقَصِيدَةُ عَلَى أَفْقٍ ثَقَافِيٍّ يَنْقَاطِعُ فِيهِ الشَّعْرُ بِالسُّلْطَةِ، وَالْهَجَاءُ بِالتَّفْكِيكِ، فِي لَحْظَةٍ يُوظَّفُ فِيهَا الشَّاعِرُ أَدَوَاتِ الْبَلَاغَةِ لِخَلْقِ خُطَابٍ مُضَادٍّ، يَسْتَعِيدُ مِنْ خِلَالِهِ دَوْرَ الْمُتَّقَفِّ؛ بِوصْفِهِ نَاقِدًا لِلْبَنِيَّةِ لَا تَابِعًا لَهَا.

ثالثًا. الموقِفُ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَالْهُوِيَّةِ:

أَخَذَ مَفْهُومَ الْهُوِيَّةِ حَيْزًا كَبِيرًا مِنَ الدِّرَاسَاتِ الثَّقَافِيَّةِ، وَلَا سِيَّما الْأَدْبِيَّةِ مِنْهَا؛ بِوصفِهَا رُؤْيَا الشَّاعِرِ: "لَمَّا يَسْتَنِيرُهُ مِنْ مُشْكِلَاتِ وَاقِعِهِ وَهُمُومِ عَصْرِهِ، تَتَأَثَّرُ طَبِيعَةُ فُحُوَاهَا وَمَدَى أَفْقِهَا عُمُقًا وَاتِّسَاعًا بِنَوْعِ الْحَصِيلَةِ الْخَاصَّةِ لِجَدَلِ وَعِي الشَّاعِرِ وَذَاتِهِ مَعَ وَاقِعِهِ وَبَيْنَتِهِ الشَّامِلَةِ" (الْيُوزْبَكِي، 2009م: ص 141)، فَالشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ يَرَى أَنَّ مِنْ حَقِّ قَبِيلَتِهِ عَلَيْهِ؛ يَسْعَى أَنْ يَكُونَ سَبَاقًا لِلدِّفَاعِ عَنْهَا، وَلَكِنَّ الْأُمُورَ بَيْنَهُمَا لَا تَسِيرُ عَلَى وَفْقِ هَذِهِ الْمُعْطِيَّاتِ الْإِيجَابِيَّةِ، فَقَدْ تَتَعَكَّرُ أَجْوَاءُ الصَّفَاءِ لِتَتَحَوَّلَ مَوَاقِفُ مُؤَلِّمَةٍ لَدَى الشَّاعِرِ الَّذِي يَأْسُ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَلَى وَفْقِ ذَلِكَ، أَنَّ شِعْرَ الْمُتَلَمِّسِ الضُّبْعِيِّ يُظْهِرُ مَوْقِفَهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَالْهُوِيَّةِ مُزْدَوَجًا، يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِنْتِمَاءِ وَالتَّمَرُّدِ؛ فَمِنْ جِهَةٍ يَعْتَزُّ الشَّاعِرُ بِإِنْتِمَائِهِ إِلَى قَبِيلَتِهِ (تَغْلَبَ)، وَيَفْتَخِرُ بِأَمْجَادِهَا وَيَأْسِهَا فِي الْقِتَالِ، مِمَّا يُعَكِّسُ عِيًا قَوِيًّا بِالْهُوِيَّةِ الْقَبِيلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ أَسَاسًا لِلْوُجُودِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، لَا يَتَرَدَّدُ الْمُتَلَمِّسُ فِي انْتِقَادِ بَعْضِ مُمَارَسَاتِ الْقَبِيلَةِ أَوْ تَخَاذُلِهَا، خَاصَّةً حِينَ تَتَعَارَضُ مَعَ كَرَامَتِهِ أَوْ مَوَاقِفِهِ الشَّخْصِيَّةِ، مَا يَدُلُّ عَلَى نَزْعَةٍ فَرْدِيَّةٍ تُمَيِّزُهُ عَنِ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ التَّقْلِيدِيِّ، هَكَذَا يَتَوَازَنُ شِعْرُهُ بَيْنَ الْوَلَاءِ لِلْقَبِيلَةِ بِوصفِهَا هُويَّةً جَمْعِيَّةً، وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْهَا حِينَ تَتَخَلَّى عَنِ قِيَمِ الشَّرَفِ وَالنَّخْوَةِ، مِمَّا يَمْنَحُهَا مَكَانَةً فَرِيدَةً كَشَاعِرِ قَبِيلِي حُرٍّ يَرْفُضُ الدُّوبَانَ الْكَامِلَ فِي سُلْطَةِ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا مَا تَجَسَّدَ فِي قَوْلِهِ: (البسيط) (الصيرفي، 1970م: ص 82 - 93).

حَتَّ قُلُوصِي بِهَا وَاللَّيْلُ مُطَرِّقٌ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَشَاقَتْهَا النَّوَاقِيسُ
مَعْفُولَةٌ يَنْظُرُ الشَّشْرِيقَ رَاكِبُهَا كَاتَهَا مِنْ هَوَى لِلرَّمْلِ مَسَاوِسُ

وقد أَلَا ح سُهَيْلُ بَعْدَمَا هَجَعُوا كَأَنَّهُ ضَرَمَ بِالْكَفِّ مَقْبُوسُ
 أَنَّى طَرِبْتُ وَلَمْ تُلْحَى عَلَى طَرَبِ وَدُونَ إِلْفِكَ أَمَرَاتُ أَمَّا لَيْسُ
 حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ الْقُصُوفِ فَقُلْتُ لَهَا بَسْلُ عَلَيْكَ إِلَّا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ
 أَمِي شَامِيَّةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نُوْدُهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ
 لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْبُوبَاةِ مُنْجِدَةً مَا عَاشَ عَمَرُو، وَمَا عَمَرَتْ قَابُوسُ

تُجَسِّدُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ صَوْتًا شِعْرِيًّا مُهَمَّشًا يُعْبَرُ عَنْ تَمَرُّقِ الدَّاتِ بَيْنَ الْحَنِينِ وَالانْفِصَالِ عَنِ الْقَبِيلَةِ، حَيْثُ يَظْهَرُ الشَّاعِرُ فِي حَالَةٍ اغْتِرَابٍ وَجُودِيٍّ وَهُوِيَّاتِيٍّ، مُتَّارِحًا بَيْنَ الانْتِمَاءِ الْعَاطِفِيِّ لْجَمَاعَةٍ لَا يَنْتَمِي إِلَيْهَا فِعْلِيًّا، وَرَفْضِ جَمَاعَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَصْدَرًا لِلْقَسُوفِ وَالنَّفْيِ، فَمِنْ جَلَالِ لُغَةِ الْحَنِينِ وَالتَّمَرُّدِ الْوَجْدَانِيِّ وَرَفْضِ سُبُلِ الانْتِمَاءِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتْهُ "يَنْطَلِقُ مِنَ الدَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ مَا عَرَفَ بِهِ مِنْ مِيلٍ فَطَرِيٍّ إِلَى النَّعْيِ بِالدَّاتِ وَبِالْقِيمِ الَّتِي تَتَأَرَّجُ فِي نَفْسِهِ" (بُوبَعِيُو، 2001م: ص 55)، فَتَشَكَّلَتْ هُويَّةٌ قَلِقَةٌ تَبْحَثُ عَنْ دَاتِهَا خَارِجَ مَنْظُومَةِ الْقِيمِ الْقَبِيلِيَّةِ فِي تَمَثِيلٍ وَاضِحٍ لِلصَّوْتِ الْمُهْمَّشِ الَّذِي يُعِيدُ مَسْأَلَةَ مَوْجِعِهِ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَالْهُوِيَّةِ وَالسُّلْطَةِ، فَالشَّاعِرُ يَفْتَتِحُ قَصِيدَتَهُ بِمَشْهَدٍ شِعْرِيٍّ مُصَوِّرٍ لِلْقُلُوصِ (النَّاقَةِ) وَهِيَ تَحْنُفِي اللَّيْلَ.

حَنَّتْ قُلُوصِي بِهَا وَاللَّيْلُ مُطَرَّقُ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَشَاقَتَهَا النَّوَاقِيسُ

هَذَا الْحَنِينُ لَا يُفْهَمُ فَقَطْ عَلَى أَنَّهُ حَنِينٌ مَكَانِيٍّ، بَلْ هُوَ حَنِينٌ وَجُودِيٌّ يُعَكِّسُ شُعُورَ الدَّاتِ بِالْانْفِصَالِ عَنْ مَرَجِعِهَا الْأَوَّلِ (الْقَبِيلَةِ، الْمَوْطِنِ، الْجَمَاعَةِ)، فَالنَّاقَةُ هُنَا تُجَسِّدُ الدَّاتَ الْمُهَمَّشَةَ الَّتِي لَمْ تُعَدْ تُجَدُّ فِي الْقَبِيلَةِ مُسْتَقَرًّا، فَتَنْشُدُ الْعُودَةَ إِلَى الْأَصْلِ، وَلَكِنَّ الصَّوْتَ يَظَلُّ مُحَاصَرًا بِالصَّمْتِ (اللَّيْلِ مُطَرَّقٍ) وَالنَّوَاقِيسِ (أَدَاةٌ لِلتَّنْبِيهِ أَوْ الْإِنْدَارِ، الَّتِي تُثِيرُ الذِّكْرَى وَتُوجِّعُ الْأَلَمَ، إِذْ إِنَّهُ حَنِينُ الْخَارِجِ عَنِ السَّرْبِ، الَّذِي لَا يَمْلِكُ الْعُودَةَ، وَلَا يَرْضَى بِالْبَقَاءِ فِي الْهَامِشِ، ثُمَّ يَتَصَاعَدُ فِي النَّصِّ انْفِصَالُ الدَّاتِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَالشُّعُورُ بِالْاِغْتِرَابِ مَعَ تَكَرُّرِ التَّوَثُّرِ بِقَوْلِهِ:

أَنَّى طَرِبْتُ وَلَمْ تُلْحَى عَلَى طَرَبِ وَدُونَ إِلْفِكَ أَمَرَاتُ أَمَّا لَيْسُ

إِذْ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَتَبَدَّى الصَّوْتُ الْفَرْدِيُّ الْمَعزُولُ، أَيْ يَلَامُ عَلَى طَرَبِهِ، وَيُحَاصِرُ بِخُذُودٍ تَقْطَعُ طَرِيقَهُ نَحْوَ مَنْ يُجِبُّ، وَهَذَا تَمَثُّلُ رَمَزًا لِلْقَبِيلَةِ أَوْ الانْتِمَاءِ الْمَفْقُودِ، فَالْبَيْتُ يَكْشِفُ عَنْ وَضْعِ الْهَامِشِ الَّذِي لَا يُسَمِّحُ لَهُ بِالتَّعْبِيرِ عَنْ عَوَاطِفِهِ، وَلَا يُمْنَحُ حَقَّ التَّوَقُّ إِلَى مَا قُودَ، ثُمَّ يُفَصِّحُ الْمُتَلَمِّسُ فِي نَصْبِهِ عَنْ دُرُوءِ التَّوَثُّرِ فِي قَوْلِهِ:

أَمِي شَامِيَّةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نُوْدُهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

يبدو أنَّ هذا البيت يحفر عميقاً في إشكالية الهوية من خلال قوله: (لا عراق لنا)، أي نفى صريح للانتماء الجغرافي الوطني، في حين يُعبّر عن ميل عاطفي نحو جماعة أخرى (قوماً نودهم) مقابل جماعته الأصلية (قوماً شوس) التي أصبحت تمثل القسوة والرفض في تجارب مضطربة لا تتيح بشيء سوى رؤى وشطحات شاردة تنفجر بالألم والأسى والسخط، وما يصاحب ذلك من سلوك يرفض التوافق النفسي أو الشعور بفقد المعنى واللامبالاة، ومركزية الذات والانعزال الاجتماعي وما يصاحبه من أعراض (الجماعي، د-ت: ص 34)، وهذا شكل هوية مضادة، ليست هوية بديلة بالمعنى الصريح، ولكنها هوية في حالة رفض وانقسام، مما يؤكد موقع الشاعر في الهامش، لا ينتمي بالكمال إلى الأصل، ولا يجد موطناً قدم في البديل؛ ليعلن القطيعة في البيت الأخير مع طرق السلطة والشرعية القبلية (سبل البوابة)، التي ترتبط بالمجد والشرف والهيمنة، فهو هنا يرفض الانصياع لتلك السبل، ويرى أنها لم تعد تنقذه ما دام رُموزها (عمرو، قابوس) قد ماثوا أو انقضت زمانهم، وكأنَّ ذاته المهمشة ترفض العودة إلى المركز، لا فقط لأنها أقصيت منه، بل لأنه فقد شرعيته في نظرهما.

كما تميّز ثوائر النص بصوت شعري يحمل ملامح الهامش الثقافي داخل البنية القبلية التقليدية، حيث تتجلى الذات المتكلمة كغردٍ مبعّد عن مركز القرار والانتماء، يُعاني من الانفصال الرمزي والاجتماعي عن الجماعة، فالحنين في النص ليس مجرد نزعة عاطفية، بل هو تمثيل لرغبة مفهومة في استعادة علاقة منقطعة مع هوية مفقودة أو مسلوكة بفعل السلطة القبلية والإقصاء الجماعي، عبر صور الاغتراب والانتماء.

فالمُتلّمس يطرح سؤال الهوية خارج القلب القبلي، كاشفاً عن التوتر بين الفردانية والنظام الجماعي، وبين الانتماء الجيني والانتماء الوجداني، وبين الأصل والرغبة ليرتفع هذا الصوت المهمش ليمارس نقداً ضمنياً للمركز القبلي من خلال تفكيك رموزه (الناقة، القبيلة، الطريق، قابوس، عمرو)، ورفض شرعيتها كمسارات للنجاة أو الاستقرار، وبهذا، يتحول النص إلى صوت احتجاجي ناعم، يُعيد مساءلة البنية الثقافية السائدة، ويُمنح للهامش موقعاً يتجاوز التبعية نحو إعادة تشكيل الهوية من خارج سرديات السلطة والانتماء القسري.

وينطلق في قصيدة أخرى المتلمس الضبعي من داخل البنية القبلية التقليدية لينقذها من موقع التجربة والانكسار، حيث يتموضع على هامش الهوية الجماعية التي طالما شكّلت مصدرًا للانتماء والدعم، فيُعبّر عن اغترابه والجماعة التي لم تُقدّر ثودته، ويدعو إلى قطيعة شعورية معها، وهذا الانفصال يعكس صراعاً ثقافياً بين الهوية الفردية والهوية الجماعية، ويُعيد طرح أسئلة الانتماء والولاء ضمن فضاء ثقافي تقليدي يرفض الاعتراف بمن يخرج عن نسقه، مما يجعل من النص تعبيراً عن أزمة وجودية وثقافية في الوقت نفسه، ومفادات ذلك في قوله: (الكامل)، (الصيرفي، 1970م: ص 133 - 141).

وَالْيَاسُ يُسْلِي لَوْ سَلَوْتَ أَخَادِدَ	إِنَّ الْحَبِيبَةَ حَبَّاهَا لَمْ يَنْفِدِ
لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ طَوْلُ تَوَدِّدِ	قَدْ طَالَ مَا أَحْبَبْتُهَا وَوَدِدْتُهَا
فَإِذَا نَادَى بِي وَدَّهْمُ فَلْيَبْعِدِ	إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى
تَذُرُ السَّمَاءَ وَتَهْتَدِي بِالْفَرْقِدِ	فَلْتَتْرُكْنَهُمْ بَلِيلِ نَاقَتِي

تَعْدُو إِذَا وَقَعَ الْمَمَرُ بِدِفْهَها عَدُو النُّحُوصِ نَخَافُ ضَيْقَ الْمَرَصِدِ
يَبْدَأُ إِذَا اسْتَفْرَتْهَا مِنْ مَبْرَكِ خَلَبَتْ مَعَابُهَا بَرْبَ مُعْقَدِ النَّصِّ
بِمَشْهَدِ إِذَا الرِّكَابُ تَوَاكَلَتْ بَعْدَ السُّرَى وَجَرَى السَّرَابُ عَلَى مُثُونِ الْجَدِيدِ

رُومَانِسِيٌّ ظَاهِرِيٌّ، يَبْدَأُ أَنَّهُ تَتَخَفَى خَلْفَهُ صِرَاعَاتُ دَاخِلِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالانْتِمَاءِ، وَخَبِيَّةِ الْأَمَلِ، وَالْإِقْصَاءِ الْاجْتِمَاعِيِّ، إِذْ يَحْمِلُ مَوْقِفًا نَقْدِيًّا لِلْقَبْلِيَّةِ وَالانْتِمَاءَاتِ الْجَاهِزَةِ، وَيُعْبَرُ عَنْ شَخْصِيَّةٍ تَعِيشُ أَرْمَةً هُوِيَّةً بِسَبَبِ الْإِقْصَاءِ أَوْ الْحِفَاءِ، فَالْمُتَلَمَّسُ الضُّبْعِيُّ يَرْفُضُ الْخُضُوعَ لِلسُّلْطَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ الْقَبْلِيَّةِ، وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْوَلَاءَ وَالانْتِمَاءَ الطَّوِيلَ لَمْ يَشْفَعَا لَهُ، لِيَخْتَارَ التَّمَرُّدَ وَالْاِسْتِقْلَالَ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَلَمٌ وَاعْتِرَابٌ، ثُمَّ يَفْصَحُ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ مِنْ نَصِّهِ عَنْ انْتِمَاءٍ سَابِقٍ عَاطِفِيٍّ وَرُوحِيٍّ إِلَى (العِرَاقِ وَأَهْلِهِ)، لَكِنَّهُ يُعْلِنُ الْقَطِيعَةَ: (فَلْيَبْعِدْ)، أَيْ لَا يُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئًا بَعْدَ أَنْ تَغَيَّرَ وَدُهُمْ، وَهَذَا الرَّفْضُ يَحْمِلُ صَوْتَ الْمَهْمَشِ الَّذِي كَانَ جُزْءًا مِنَ الْهُوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ ثُمَّ تَمَّ إِقْصَاؤُهُ؛ لِكُونِ "اللُّغَةُ تُحِيلُ دَائِمًا عَلَى أَشْيَاءَ وَمَوْجُودَاتٍ خَارِجَ النَّصِّ" (الصَّبِيحِي، 2008م، ص89)، وَالَّتِي اسْتَدَّتْ إِلَيْهَا الضُّبْعِيُّ عِبْرَ اخْتِاخِذِ النَّاقَةِ رَمَزًا لـ (الْأَنَا)، لثُمَّلِ قَرَارِهِ بِالْمَغَادِرَةِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْقَطِيعِ؛ إِذْ رَمَزَ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ: (تَذُرُ السِّمَّكَ)، وَالسِّمَّكَ نَجْمٌ سَاطِعٌ مُرْتَبِطٌ بِالْهَدَايَةِ، وَ(تَهْتَدِي بِالْفَرْقِ)، وَهُمَا نَجْمَانِ أَقْلُ شَهْرَةٍ، مَا يُوجِي بِأَنَّهَا تَتَّبَعُ بُوصْلَةً مُخْتَلِفَةً وَتُعْلِنُ اسْتِقْلَالَهَا، وَهَذَا تَمَرُّدٌ وَاضِحٌ عَلَى الْقِيَمِ الْقَبْلِيَّةِ وَالانْتِمَاعِ لِلْجَمَاعَةِ، وَثَبِنَ لِهَوِيَّةٍ فَرْدِيَّةٍ جَدِيدَةٍ.

إِنَّ الشَّاعِرَ يَكْشِفُ عَنْ نَدَائِعَاتِ اللَّذَّةِ فِي الْإِنْتِمَاءِ إِلَى وَطَنِهِ الْعِرَاقِ، لَكِنَّ هَذِهِ اللَّذَّةُ قَدْ امْتَزَجَتْ بِشُعُورِ الْغُرْبَةِ وَأَلَمِهَا، فَالشَّوْقُ وَالْحَنِينُ وَذِكْرُ الْعِرَاقِ مَا هُوَ إِلَّا شُعُورٌ نَفْسِيٌّ يُعْبَرُ عَنْ أَلَمِ دَفِينٍ يَعِيشُهُ الضُّبْعِيُّ وَيَسْتَوِطِنُ أَعْمَاقَهُ، أَيْ إِنَّ غُرْبَتَهُ اتَّصَلَتْ بِغُرْبَةِ الْمَوْتِ الَّذِي يَطَالُهُ فِي دِيَارِ غُرْبِيَّةٍ، وَلَيْسَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَجْبَبِهِ، وَتَعْدُو النَّاقَةُ، بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ رَمَزِيَّاتٍ بَدْوِيَّةٍ مُتَجَدِّدَةٍ، اسْتِعَارَةً عَنِ الدَّاتِ السَّاعِيَةِ لِلتَّحَرُّرِ، كَوْنِهَا نَوْعًا مِنَ "الْإِبْدَاعِ الْقَائِمِ عَلَى التَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ؛ لِأَنَّهَا تَعْبِيرٌ غَيْرُ مُبَاشِرٍ عَنْ فِكْرَةٍ أَوْ مَعْنَى أَوْ مَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْكَلَامِ" (الدَّايَّة، 2017م، ص37)؛ لِيَتَحَقَّقَ عِبْرَ ذَلِكَ صَوْتُهُ الرَّافِضُ الْمُتَمَثِّلُ فِي قَوْلِهِ: (عَدُو النُّحُوصِ نَخَافُ ضَيْقَ الْمَرَصِدِ)، أَيْ إِنَّهُ يَرْفُضُ الْهَدَايَةَ التَّقْلِيدِيَّةَ لِصَالِحِ بُوصْلَةٍ جَدِيدَةٍ، وَهِيَ شَخْصِيَّةٌ هَامِشِيَّةٌ، لَكِنَّهَا وَاعِيَّةٌ، رَمَزَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: (خَلَبَتْ مَعَابُهَا)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِعْلَالِ الطَّاقَاتِ حَتَّى النِّهَايَةِ، فَقَدْ أَتَتْ وَأَرْهَقَتْ وَاسْتَعْلَتْ، ثُمَّ رُفِضَتْ أَوْ نُبِذَتْ، هَكَذَا يُفَكِّكُ النَّصُّ أَطْرَ الْإِنْتِمَاءِ الْقَبْلِيِّ بِوصفِهَا مُحَدِّدَاتٍ قَسْرِيَّةً لِلْهُوِيَّةِ، وَيُعِيدُ بِنَاءَ الدَّاتِ عَلَى أُسَاسِ فَرْدِيٍّ يَضَعُ التَّوَدُّدَ وَالْوَلَاءَ وَالْهُوَى مَوْضِعَ مُسْأَلَةٍ، فِي سِيَاقٍ ثَقَافِيٍّ يَضِيقُ بِالْاِخْتِلَافِ وَيُقْصِي مَنْ لَا يَتِمَاهِي مَعَ الْمَرْكَزِ.

كَشَفَ هَذَا النَّصُّ تَجَلِّيًّا وَاضِحًا لَصَوْتِ الدَّاتِ الْمَهْمَشَةِ الَّتِي تُوَاكِهُ بَنِيَّةٌ ثَقَافِيَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الْقَرَابَةِ وَالْوَلَاءِ الْقَبْلِيِّ، لَكِنَّهَا تَرْفُضُ الْاسْتِمْرَارَ فِي هَذَا النَّسَقِ الَّذِي يُقْصِي الْفَرْدَ حِينَ يَتَقَاطِعُ وَجُودُهُ مَعَ مَصَالِحِ الْجَمَاعَةِ أَوْ مَعَايِيرِهَا الصَّارِمَةِ، فَالنَّصُّ يَعْكِسُ أَرْمَةً هُوِيَّةً ثَقَافِيَّةً، حَيْثُ تَتَخَلَّلُ ثَوَابِتُ الْإِنْتِمَاءِ الْقَدِيمِ (العِرَاقُ وَأَهْلُهُ كَرُمُوزٍ لِلْجَمَاعَةِ) أَمَامَ تَجْرِبَةِ شُعُورِيَّةٍ عَمِيقَةٍ بِالْخُدْلَانِ وَالنَّهْمِيشِ، فَالضُّبْعِيُّ هُنَا لَا يُعْبَرُ فَقَطْ عَنْ فَقْدِ الْحَبِيبَةِ، بَلْ عَنْ فَقْدِ مَرْكَزِهِ الرَّمَزِيِّ فِي الْمَنْظُومَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، فَيَتَحَوَّلُ الْهُوَى مِنْ رَابِطَةٍ وَجَدَانِيَّةٍ إِلَى عِبَاءٍ يُسَدِّدُ عَلَى الْفَحْصِ وَالتَّقْدِ.

- خَاتِمَةُ الْبَحْثِ وَنَتَائِجُهُ:

وفي الختام، ومُنْتَهَى الْمَطَافِ، وَغَايَةِ النَّهْجِ فِي دِرَاسَتِنَا؛ تَنْضِحُ لَنَا جُمْلَةُ مِنَ النَّتَاجِ وَالذَّلَالَاتِ الَّتِي تَمَحَّضَتْ عَنْهَا، وَالَّتِي يُمَكِّنُ الْوُقُوفُ عِنْدَ أَبْرَزِهَا، وَهِيَ:

1- تَجَلَّى فِي شِعْرِ الْمُتَلَمِّسِ الْغَضَبُ وَالرَّفْضُ، وَمَأْسَاةُ الصَّوْتِ الْمُهْمَّشِ، لَا بِوصفِهَا حَادِثَةً فَرْدِيَّةً، بَلْ كَثْمِيلٍ عَمِيقٍ لِبَنِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ كَانَتْ تُقْصِي الْكَلِمَةَ حِينَ تَتَجَاوَرُ حُدُودَ التَّمَلُّقِ لِلسُّلْطَةِ؛ حَيْثُ يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ شَاعِرٍ جَاهِلِيٍّ تَقْلِيدِيٍّ يَكْتَفِي بِالْهَجَاءِ وَالْمَدْحِ، بَلْ كَانَ صَوْتًا احْتِجَاجِيًّا مَعْرُولًا، عَبَّرَ عَنْ تَجْرِبَتِهِ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِقْصَاءِ بِطَرِيقَةٍ مُوَارِبَةٍ تَقُومُ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالتَّلْمِيحِ، لَا الصِّدَامِ الْمُبَاشِرِ، وَأَنَّ هَذَا الصَّوْتِ الْمُهْمَّشَ الَّذِي تَجَلَّى فِي نُصُوصِهِ لَا يَكْشِفُ فَقْطَ عَنْ مَوْقِفِهِ مِنَ السُّلْطَةِ، بَلْ يَفْضَحُ كَذَلِكَ الْيَاتِ التَّهْمِيشِ نَفْسَهَا؛ كَالْخِيَانَةِ، وَالرَّقَابَةِ، وَالْغُفِّ الرَّمْزِيِّ، وَتُكْرِيسِ الصَّمْتِ.

2- يُجَسِّدُ شِعْرُ الْمُتَلَمِّسِ الضُّبْعِيَّ صَوْتًا مُهْمَّشًا تَمَرَّدَ عَلَى السُّلْطَةِ الْقَمْعِيَّةِ، حَيْثُ تَحَوَّلَ صَوْتُهُ الشَّعْرِيُّ إِلَى صَرَخَةٍ وَجُودِيَّةٍ فِي وَجْهِ الْخَوْفِ وَالْإِقْصَاءِ، فَبَعْدَ تَهْدِيدِهِ بِالْقَتْلِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ، لَمْ يَعْذِ الْمُتَلَمِّسُ مُجَرَّدَ شَاعِرٍ يَنْسُجُ الْكَلِمَاتِ، بَلْ أَصْبَحَ شَاهِدًا عَلَى هَشَاشَةِ الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَةِ الْمُسْتَبَدَّةِ، غَانَى مِنَ الْقَلْقِ وَالرَّيْبَةِ، وَتَمَحَّوَرَتْ تَجْرِبَتُهُ الشَّعْرِيَّةُ حَوْلَ الْفَقْدِ وَالْخُذْلَانِ، فَعَبَّرَ بِمَرَارَةٍ عَنْ كَوْنِهِ ضَحِيَّةً لِنِظَامٍ لَا يَمْنَحُ الْهَامِشَ سِوَى الصَّمْتِ أَوْ النَّفْيِ، وَهَكَذَا تَجَلَّى صَوْتُهُ بِوصْفِهِ وَثِيقَةً مُقَاوِمَةً تَنْحَدِي التَّهْمِيشَ وَتُذَيِّنُ الطُّغْيَانَ، حَتَّى وَهُوَ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالنَّجَاةِ عَبْرَ الْهَرَبِ، لَا بِالْحَيَاةِ فِي وَطَنِ يَحْنُضُ الْكَلِمَةَ.

3- كَشَفَ مَوْقِفُهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ عَنْ أَرْزَمَةِ هُويَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ، إِذْ إِنَّ الْمُتَلَمِّسَ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ شَاعِرٍ هَارِبٍ مِنَ الْمَوْتِ، بَلْ كَانَ حَامِلًا لِصَوْتِ يَكْشِفُ الْهَشَاشَةَ الْبَنِيَوِيَّةَ لِعَلَاقَةِ الشَّاعِرِ بِالْحَاكِمِ فِي الثَّقَافَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، حَيْثُ الْكَلِمَةُ مُهَدَّدَةٌ مَا لَمْ تُوظَّفْ لِتُكْرِيسِ السُّلْطَةِ لَا لِمُسَاءَلَتِهَا، وَتَهْدِيدُهُ بِالْقَتْلِ لَمْ يَكُنْ عُقُوبَةً شَخْصِيَّةً بِقَدْرِ مَا كَانَ تَعْبِيرًا عَنْ مَنْطِقِ ثَقَافِيٍّ يَرَى فِي الشَّاعِرِ (النَّاطِقِ الرَّسْمِيِّ) بِاسْمِ الْقَبِيلَةِ أَوْ الْمَلِكِ، لَا صَاحِبَ رَأْيٍ مُسْتَقِلٍّ، وَحِينَ تَمَرَّدَ الْمُتَلَمِّسُ عَلَى هَذَا الدَّوَرِ تَمَّ اسْتِيعَاذُهُ جَسَدِيًّا وَرَمْزِيًّا؛ لِذَا فَإِنَّ مُعَانَاةَهُ تَكْشِفُ عَنْ صِرَاعِ طَبَقِيٍّ وَرَمْزِيِّ بَيْنَ الْمَرْكَزِ وَالْهَامِشِ، وَبَيْنَ الشِّفَاهِيِّ الْمُرَوِّضِ وَالشِّفَاهِيِّ الرَّافِضِ، وَتُبْرُزُ كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْكَلِمَةِ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ أَدَاةٍ مَدِيحٍ إِلَى خَطَرٍ سِيَاسِيٍّ، وَمِنْ وَسِيلَةٍ عَيْشٍ إِلَى حُكْمٍ بِالْإِعْدَامِ.

4- وَفِي ضَوْءِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، لَا يَعُودُ شِعْرُ الْمُتَلَمِّسِ مُجَرَّدَ مَادَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ تَنْتَمِي إِلَى زَمَنِهَا، بَلْ يُصْبِحُ شَهَادَةً شِعْرِيَّةً وَثَقَافِيَّةً عَلَى مُعَانَاةِ فَرْدٍ فِي مُوَاجَهَةِ مَرْكَزِ سُلْطَوِيٍّ صُلْبٍ، وَمِنْ هُنَا تَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ مُقَارَبَةِ الصَّوْتِ الْمُهْمَّشِ فِي إِعَادَةِ الْإِعْتِبَارِ لَشُعْرَاءِ كُتْمِ صَوْتِهِمْ، وَإِعَادَةِ قِرَاءَةِ ثَرَاتِنَا الْعَرَبِيِّ بَعَيْنِ نَاقِدَةٍ تَكْشِفُ مَا حَجَبَهُ التَّمَجِيدُ التَّقْلِيدِيُّ.

- مَصَادِرُ الْبَحْثِ وَمَرَاجِعُهُ:

- إِبْرَاهِيمَ، رِيكَان: (1989م)، نقد الشعر في المنظور النفسي، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د - ط).

- إِبْرَاهِيمَ، زَكْرِيَا: (1969م)، المشكلة الخلفيَّة (مُشكلات فلسفيَّة)، دار مصر للطباعة، القاهرة، (د - ط).

- إِبْرَاهِيمَ، زَكْرِيَا: (د - ت)، مشكلة الإنسان (مُشكلات فلسفيَّة)، دار مصر للطباعة والنشر، (د - ط).

- آل وادي، د.علي شناوة، د.رحاب خضير عبادي: (٢٠١١م)، استطبيقا المَهْمَش في فنّ ما بعد الحداثة، مؤسسة الصادق الثقافية، العراق، بابل، ط1.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر: (١٩٨٦م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د - ط).
- بُوبُيُوء، بوجمعة: (2001م)، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية مُعاصرة، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د-ط).
- الجَمَاعِي، صلاح الدين أحمد: (د - ت)، الاغتراب النفسي والاجتماعي، دار نهران للنشر والتوزيع، الأردن، (د-ط).
- جون هيلر، جوليان لوغرمان، دافيد بياشور: (2007م)، الاستبعاد الجماعي محاولة للفهم، ترجمة، محمد الجوهري، الكويت، عالم المعرفة، (د - ط).
- حمزة، هاني نعمة: (٢٠١٣م)، شعر المَهْمَشين في عصر ما قبل الإسلام (دراسة على وفق الأنساق الثقافية)، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط١.
- خالفي، حسين: (2011م)، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، ط1.
- الدّاية، محمد رضوان: (2017م)، الكناية المعاصرة والأساليب الحديثة، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، (د - ط).
- روميّة، وهب: (1979م)، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2.
- شكري، شرف الدين: (٢٠٠٨م)، الهوامش الكونية (تأملات في حياة معدمة)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١.
- الصّبيحي، محمد الأخضر: (2008م)، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1.
- الصّيرفي، حسن كامل: (1970م)، ديوان المُتَلَمّس الضُّبُعيّ، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية (د - ط).
- الغدامي، عبد الله محمد: (2011م)، التّفدُّ الثقافيّ (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، المملكة الأردنية، ط2.
- فرحان، هيثم عبد الحسين مريوش: (2023م)، الأداء الشّعريّ في الدراسات السّيميائية العربيّة "قراءة في كتاب البخلاء للجاحظ" مجلة لارك. العدد 51، 200.
- <https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss51.3123>
- فيدوح، عبد القادر: (1992م)، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، القاهرة، (د - ط).
- فيصل عباس: (1991م)، التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة، دار المكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1.
- القصاب، صبيح ناجي: (1979م)، الشعر بين الواقع والإبداع، سلسلة دراسات (166)، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د - ط).
- الكيالي، عبد الوهاب: (1985م)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطابع تكتوبرس، بيروت، (د - ط).
- مروّة، حسين: (1972م)، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، (د - ط).

- **مونسي، حبيب:** (2001م)، فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، مطبعة إتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د - ط).
- **نعيجي، خيرة، وعدلان رويدي:** (2024م)، حريات الألم وجماليات الخطاب المضاد، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مجلد 19، العدد 2. <https://asjp.cerist.dz/en/article/249762>
- **اليوزيكي، مؤيد محمد صالح:** (2009م)، دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، جمهورية العراق، (د - ط).

Research sources and references:-

- **Ibrahim, Rikan:** (1989), Criticism of Poetry from a Psychological Perspective, Ministry of Culture and Information, Public Cultural Affairs House Press, Baghdad.
- **Ibrahim, Zakaria:** (1969), The Moral Problem (Philosophical Problems), Misr Printing House, Cairo.
- **Ibrahim, Zakaria:** (D-T), The Problem of Man (Philosophical Problems), Misr House for Printing and Publishing.
- **Al Wadi, Dr. Ali Shinawa, Dr. Rihab Khudair Abadi:** (2011), The Aesthetics of the Marginalized in Postmodern Art, Al-Sadiq Cultural Foundation, Iraq, Babylon, 1st edition .
- **Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar:** (1986), The Treasury of Literature and the Heart of Bab Lisan al-Arab, edited by Abdul Salam Muhammad Haroun, published by Al-Khanji Library, Cairo, Egypt.
- **Boubayou, Boujemaa:** (2001), The Dialectic of Values in Pre-Islamic Poetry, a Contemporary Critical View, Publications of the Arab Writers Union, Damascus.
- **Al-Jama'i, Salah al-Din Ahmed:** (D-T), Psychological and Social Alienation, Nahran Publishing and Distribution House, Jordan.
- **John Heller, Julian Loughran,** David Bayshore: (2007), Collective Exclusion as an Attempt to Understand, translation, Muhammad Al-Jawhari, Kuwait, The World of Knowledge.
- **Hamza, Hani Nehme:** (2013), Poetry of the Marginalized in the Pre-Islamic Era (A Study According to Cultural Patterns), Defaf Publications, Beirut, Lebanon, 1st edition .
- **Khalafi, Hussein:** (2011), Rhetoric and Discourse Analysis, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st edition .
- **Al-Daya, Muhammad Radwan:** (2017), Contemporary Metonymy and Modern Styles, Publications of the Syrian General Authority for Writers, Damascus.

- **Roumieh, Wahb:** (1979), *The Journey in the Pre-Islamic Poem*, Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon, 2nd edition .
- **Shukri, Sharaf al-Din:** (2008), *Universal Margins (Reflections on a Destitute Life)*, Center of Arab Civilization, Cairo, 1st edition .
- **Al-Subaihi, Muhammad Al-Akhdar:** (2008), *An Introduction to Textual Science and Its Application Fields*, Arab House of Science Publishers, 1st edition .
- **Al-Sayrafi, Hassan Kamel:** (1970), *The Diwan of Al-Mutalims Al-Daba'i*, Institute of Arabic Manuscripts, League of Arab States.
- **Al-Ghadhami, Abdullah Muhammad:** (2011), *Cultural Criticism (A Reading of Arab Cultural Patterns)*, Arab Cultural Center, Kingdom of Jordan, 2nd edition.
- **Farhan, Haitham Abdel Hussein Mariyoush:** (2023), *Symbolic Performance in Arab Semiotic Studies*, "A Reading of the Book of Misers by Al-Jahiz," *Lark Magazine*. 51, 200.
https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss_51.3123
- **Fidouh, Abdel Qader:** (1992), *The Psychological Trend in Criticism of Arabic Poetry*, Publications of the Arab Writers Union, Cairo.
- **Faisal Abbas:** (1991), *Psychoanalysis and the Issues of Man and Civilization*, Dar Al-Makar Al-Lubaniyya, Beirut, Lebanon, 1st edition .
- **Al-Qassab, Sabih Naji:** (1979), *Poetry between Reality and Creativity*, Studies Series (166), Al-Hurriya Printing House, Baghdad.
- **Al-Kayyali, Abdel-Wahhab:** (1985), *Encyclopedia of Politics*, Arab Foundation for Studies and Publishing, Tectopress Press, Beirut.
- **Marwa, Hussein:** (1972), *Critical Studies in Light of the Realist Approach*, Al-Ma'arif Library, Beirut.
- **Munsi, Habib:** (2001), *The Philosophy of Place in Arabic Poetry (An Aesthetic Thematic Reading)*, Arab Writers Union Press, Damascus.
- **Naeji, Khaira, and Adlan Ruwaidi:** (2024), *Excavations of Pain and Aesthetics of Counter-Discourse*, *Al-Hikma Journal for Literary and Linguistic Studies*, Volume 19, Issue 2.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/249762>
- **Al-Yuzbeki, Muayyad Muhammad Salih:** (2009), *Studies in Pre-Islamic Arabic Literature*, Dar Ibn al-Atheer for Printing and Publishing, University of Mosul, Republic of Iraq.